رؤية في منهجية التفسير

الأحـرف المقطّعة

لِمــاذا؟

وما دلالاتـها؟

م. عبدالوهاب الحزامي

الكويت – أبريل 2021

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى روح أخي العزيز بو فواز

أهدي هذا الجهد المتواضع والذي أفنيت فيه الكثير من الوقت والجهد، راجيا منه جل وعلا القبول، وأن يجمعني وإياه في جنات الخلد، أنه هو السميع العليم، الغفور الرحيم، فمن بعد الله جل وعلا كان هو النبراس الذي ينير لي الطريق متى ما حل الظلام، كان هو المعين الذي استقي منه ما يعينني على إكمال المسير متى ما توقف مني العطاء

رحمك الله أخي العزيز وتغمدك بواسع رحمته،،،،،،،

و الحمد لله والصلاة والسلام على من أصطفى

عبدالوهاب الحزامي

ابريل - 2021

بسم الله الرحمن الرحيم

الأحرف المقطّعة (الغير متصلة)

مقدمة الكتاب

لقد شغلت الأحرف المقطعة والواردة في بداية بعض من سور الذكر الحكيم الكثيرين ومنذ زمن طويل تجاوز الألف سنة، وقالوا فيها الكثير فمنهم من قال أنها إشارة لحروف الهجاء أعلم الله بها العرب متحديا لهم من أن يأتوا بمثل هذا القرءان المكون من تلك الحروف، ومنهم من قال أنها مما تستعمله العرب لاستثارة انتباه القارئ أو السامع ومنهم من قال إنها من لغة أخرى غير العربية ومن أن معانيها بتلك اللغة تتسق والنص الواردة به، و منهم من قال إنها تأتي من باب القسم وغير ذلك الكثير من الأقوال.....

ونحن هنا لسنا بصدد بحث تلك الأقوال ولا تخطيئها أو تصويبها، ولكن نحن نسأل كل من قال بتلك الأقوال جملة من الأسئلة منها:

لماذا تبدأ بعض السور بتلك الأحرف والبعض الآخر لا؟

لماذا التكرار لبعض من تلك الأحرف وعدم التكرار للبعض منها؟

لماذا البعض منها يرد كآية والبعض الآخر يرد كجزء من آية؟

لماذا اختلاف عدد الأحرف لها، فمنها ما يتكون من حرف واحد ومنها ما يتكون من حرفين وهكذا إلى الخمسة أحرف (كهيعص)؟

لماذا هناك حذف أو زيادة في مكونات بعض من تلك الأحرف، فمثلا الأحرف (طسم) نجد أنها وردت مرتين بحرف الميم ومرة واحدة بدون حرف الميم (طس)، الأحرف (الم) نجد أنها وردت مرة بزيادة حرف الصاد فأصبحت مكوناتها (المص)، و الأحرف (الـر) نجد أيضا أنها وردت مرة واحدة بزيادة حرف الميم فأصبحت مكوناتها (المر)؟

لماذا لم تنتمي الأحرف (المر) لمجموعة الأحرف (الم)، فالأحرف (الم) ترد دائما كآية بينما الأحرف (الـر) لا ترد إلا كجزء من آية، و كان الحال كذلك مع الأحرف (المر) و هو ما دعاني لقول ذلك، و الأمر كذلك مع الأحرف (المص) فقد وردت كآية و هو مما يرجح من أنها تنتمي لمجموعة الأحرف (الم)؟

أسئلة لا تجيب عنها كل تلك الأقوال التي قال بها السابقون أو المعاصرون منفردة كانت أو مجتمعة، ومن هنا يأتي الرفض لتلك الأقوال جملة وتفصيلا، فالمسألة من قبل أن تكون السعي لمعرفة ما تشير له تلك الأحرف، كان يجب أن تكون السعي لمعرفة العلة من وراء إيـراد المولى عز وجل لتلك الأحرف.

ومن خلال متابعتي المستمرة لهذا الموضوع لم أسمع ولم أقرأ من أنّ أحد من السابقون أو المعاصرون قد سلك ذلك المسعى، مسعى معرفة العلة من وراء إيراد المولى عز

وجل لتلك الأحرف، بل كان جلّ همهم هو التوصل لما تعنيه تلك الأحرف أو لِما تحمله من إشارة أو دلالة، وهو ما جعل من تلك الأحرف بالنسبة لهم أمر محير حتى ذهب البعض منهم إلى القول من أن الله جل وعلا هو العالم فقط لأمر تلك الأحرف، فهي تمثل سر إلهي ينفرد المولى عز وجل بمعرفته، وهو الأمر الذي ينفيه أمره جل وعلا لنا بتدبر ما أُنزِل منه، قال تعالى:

" كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ " (ص/29)

" أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا " (النساء/82)
" أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " (محمد/24)

وهي دعوة منه جل وعلا لعباده لتدبر ما أُنزِل عليهم بدون استثناء لأمر أو لجزء أو لحرف منه.

من هذين الأمرين، أمر التدبر كما جاء في الآيات أعلاه وأمر البحث عن العلة في ورود تلك الأحرف كان ذلك البحث، والذي، ومن بعده يكون البحث عن الإشارة والدلالة لكل حرف من تلك الحروف، ومنه فقد خصصت الباب الأول لهذا الأمر، أي أمر البحث عن العلة في ورود تلك الأحرف، فكان التمهيد الأول ثم التمهيد الثاني ثم نبذة سريعة عن المعاناة التي كان يعانيها عليه أفضل الصلاة والسلام و على وجه الخصوص ما كان من أهله و من قومه، راجيا من القارئ الكريم إعطاء كل فقرة من تلك الفقرات الثلاث العناية اللازمة فهي المفتاح الرئيسي لمعرفة أمر تلك الأحرف، والذي ومن بعده نبدأ التدبر لمعرفة الإشارة و الدلالة لتلك الأحرف كما ذكرنا وهو ما يتم في الباب الثاني، وعليه فما ستقرؤه عزيزي القارئ في هذا الكتاب هو اجتهاد مني فإن أصبت فيه فذلك منة منه جل و علا وإن أخطأت فأسأله الرحمة و المغفرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على نبيه الكريم

م. عبد الوهاب الحزامي

الكويت – مارس 2021

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول

العلة في ورود الأحرف المقطعة (الغير متصلة)

تمهيد (1):

الخطاب في أي نص غالبا ما يكون إما موجها للعموم وذلك حيث ما كان محتوى النص لا يحمل خصوصية في المضمون ولكن يحمل من الفائدة ما هو عام للجميع، وأما أن يكون موجها للخصوص حيث ما كان المحتوى له خصوصية بالجهة المخاطبة سواء كانت جماعة أو فردا، وهي من الأمور الاعتيادية في كتابة النص والكل على دراية بها، ولكن هناك نوع آخر من النصوص القليلة الاستخدام وذلك لقلة الحاجة إليها ، ألا وهي تلك النصوص التي تحمل في طياتها محتوى ظاهره للعموم وإن كان يراد به الخصوص، فالأمثلة والحكم مثلا كثيرا ما يخاطب بها العموم لما لها من فائدة عامة ولكن عندما توجه لفرد بعينه فغالبا ما تكون ذات مغزى لأمر خاص ما بين المُرسِل والمُرسَل إليه، وهو أي ذلك النص وإن كان محتواه عاما إلا إنه له مغزى خاصا لا يدركه إلا ذلك الفرد لما له من علاقة مع المُرسِل لذلك النص، وهنا قد يستخدم المُرسِل إشارة خاصة للمُرَسل له لإدراك تلك الخصوصية وذلك حال نشر ذلك النص للعموم، والتي غالبا ما تكون في أول الرسالة كي ينتبه الفرد المعني بتلك الخصوصية لذلك الأمر من البداية، أي من بداية قراءته للنص فيتدارك ما فيه من خصوصية قد لا يدركها الآخرون، هذا النوع من الخطاب أو النص هو ما يمكن أن نطلق عليه مسمى الخطاب أو النص الخاص الضمني، وكلمة الضمني تشير إلى أن ذلك (الخطاب/ النص) يأتي ضمنا داخل (الخطاب/ النص) العام.

كما أن تلك الخصوصية المدمجة في ثنايا الخطاب العام حال الإيجاب، لتشير إلى المكانة المرموقة والتقدير العالي للمُخاطبَ بالخصوصية عند المُخاطِب، فإن كانت من كبير لصغير، أي من كبير في الشأن لصغير في الشأن فهي تمثل نوعا من الإطراء للمُخاطبَ بجانب ما تمثله من مساندة وتأييد أو توجيه للمخاطَبَ من قِبل المُخاطِب وذلك في حدود ما جاء في الخطاب، وإن كانت من صغير لكبير فهي تمثل نوعا من التقدير والاحترام والعرفان بالجميل لذلك الكبير وذلك في حدود ما جاء في الخطاب.

هذا الأمر أمر الخصوصية و العموم في النص هو ما أرى من أنه السبب في تلك الحروف المقطعة في أوائل بعض السور و الله أعلم، فتلك السور تحمل من المضمون ما هو عام لكل الناس وبذات الوقت تحمل من المغزى ما هو خاص بالرسول عليه أفضل الصلاة و السلام، مغزى متعلق بأمر ما له خصوصية ما بين المُرسِل وهو الله جل وعلا و المُرسَل له وهو محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فما هو ذلك الأمر؟ ذلك هو ما سنحاول إيضاحه من قبل الدخول في تفاصيل ما تشير له تلك الأحرف، وذلك من حيث أن معرفة ذلك الأمر الخاص المستدعي للخصوصية ما بين المُرسِل و

المُرسَل له سوف يساعدنا كثيرا في معرفة ما وراء تلك الحروف المقطعة من مغزى (دلالة).

تمهيد (2):

مرت الدعوة المحمدية إن جاز التعبير بمرحلتين رئيسيتين، المرحلة الأولى هي المرحلة المكية، أي الدعوة لهذا الدين القيّم وهو عليه أفضل الصلاة والسلام في مكة المكرمة والتي استمرت لثلاثة عشر عاما، أما الفترة الثانية فهي الفترة المدنية، أي الدعوة لهذا الدين القيّم وهو في المدينة المنورة والتي استمرت زهاء العشر سنوات.

في المرحلة الأولى عانى رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام من المشقة الشيء الكثير، وممن؟ من أهله وعشيرته المحببين إلى قلبه، كما إنه في تلك الفترة كان والمؤمنون في مركز ضعف لا مركز قوة ، وذلك على العكس من المرحلة الثانية (المدنية) حيث كان والمؤمنون بمركز قوة لا ضعف، ومن هنا نستطيع أن نرى من أنه عليه أفضل الصلاة والسلام كان في تلك الفترة (المكية) أحوج ما يكون للتوجيه وللمساندة وللمواساة من الفترة الثانية، توجيه في كيفية تعامله مع مختلف أطياف المجتمع الذي حوله، ومساندة تعينه على الصبر والمثابرة بالدعوة وتمده بالقوة والعزيمة لمواجهة أولئك الضالين المُضلين، ومواساة له في معاناته (والتي سنأتي على توضيحها لاحقا)، وهو الأمر الذي كان منه جل وعلا وذلك إما عن طريق خطاب خاص [سورة الكوثر، سورة الضحى سورة النصر و غيرها الكثير] أو عن طريق خطاب عام فيه خصوصية له عليه أفضل الصلاة والسلام وهو ما سنوضحه في الفقرة القادمة.

المعـاناة:

محمد عليه أفضل الصلاة و السلام نبي الله و رسوله، اصطفاه المولى عز وجل لإيصال رسالته للعالمين، ولكنه بشرا بخلقته عظيم بخُلِقه، هذان الأمران أمر بشريته في الخلق وعظمته في الأخلاق يمثلان الأساس في شخصيته، فهو يحمل من الصفات الأخلاقية ما يحمله البشر و لكن يحملها على عظمة فيها، فهو حليم ككثير من البشر ولكن حلمه عظيم أعظم من حلم البشر، وهو كريم ككثير من البشر ولكن على عظمة في كرمة لا يصل لها بشر وهكذا، وسنركز في هذه الدراسة على بعض من تلك الخصال الحميدة التي يتحلى بها رسولنا الكريم ذات العلاقة المباشرة ببحثنا هذا ، من تلك الخصال حبه للخير، و على وجه الخصوص حبه لخير قومه والناس أجمعين، وهو حب يفوق ما لدى البشر كما ذكرنا، ومن أهم أمور الخير التي أحبها لقومه وللناس أجمعين هو هدايتهم للحق المُنزّل من الله جلّ وعلا، هذا الأمر أصبح هاجسا يؤرقه ليل نهار، لا يستطيع له فكاكا خصوصا وإنه كان عند قومه الصادق الأمين من قبل أن

يوحى إليه، بل والحبيب الذي لا عداء بينه و بين أحد منهم، والحكيم الذي يستشار عند النائبات [قصة إعادة الحجر الأسود لمكانه من الكعبة المشرفة]، ولكن الأمور انقلبت رأسا على عقب من بعد الوحي،و ما ذلك إلا انتصارا لآلهتهم و لمصالحهم الدنيوية، فوجود تلك الأصنام في مكة يدر عليهم الأموال بل ويجعل لهم نصيبا من الوجاهة ما بين قبائل المنطقة، لكل ذلك ناصبوه العداء من بعد المودة وكذبوه من بعد التصديق وخوّنوه من بعد أن استأمنوه، وهو الأمر الذي استقله الكافرون من أهل الكتاب، فعملوا بكل جهدهم على هدم ذلك الدين القيّم والطعن فيه، و ما ذلك إلا لما يمثله ذلك الدين الجديد من خطر عليهم، فقد كانوا ذلك الوقت أشبه بما يعرف في يومنا هذا بالطابور الخامس أو بالقوى الخفية التي لا تريد لأحد زعزعة مصالحها، خاصة وأنهم يرون أنفسهم أعلى مقاما من أهل الجزيرة جميعا فهم أهل كتاب يعلمون من أمر السماء ما لا يعلمه أولئك الأميّون، وهو أمر أعطى لهم مكانة مرموقة في تلك البقعة من الأرض وأمانا ما بين تلك القبائل المتناحرة، بالإضافة إلى أن أمانيهم كانت محصورة على أن يكون الرسول القادم منهم لا من غيرهم، من كل ذلك كان ذلك الموقف لهم من تلك الدعوة، وكانت الفتنة ديدنهم لإبعاد أهل قريش و ما جاورها من قبائل عن ذلك الدين القيّم كما ذكرنا، فهم لا يودون أن ينزّل على الناس الخير من ربهم، فهم يرون أن الخير لهم فقط وهو ما عندهم، قال تعالى:

" مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ " (البقرة/105)

" وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ " (آل عمران/69)

وتلاقت المصالح، مصالح أهل قريش ومصالح أهل الكتاب في الكيد لمحمد وللرسالة التي يحملها، فكل منهما يرى خطرا على مصالحه من هذا الدين الجديد كما أسلفنا.

ومن هنا كان العداء لذلك الرسول الكريم، فأساءوا له وسخروا منه، فقالوا عنه ساحر ومجنون وشاعر وغير ذلك، قال تعالى:

" بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ " (الأنبياء/5)

" وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ " (الصافات/36)

" وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ " (الحجر/6)

" ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ " (الدخان/ 14)

بل وعجبوا أن جاءهم منذر منهم، والمقصود هنا هو من عامة الناس كما جاء في معظم التفاسير وهو أمر لا بأس به من حيث ما جاء في الآية الكريمة، قال تعالى:

" وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ " (الزخرف/31)

فهم لا يتوقعون العظام من الأمور إلا من العظام من الرجال، ولكن المولى عز وجل يعلم ما لا يعلمون، ويخص برحمته وبعلمه من يشاء من عباده، ويرفع بعضهم فوق بعض درجات، فقال جل وعلا من بعد قولهم ذلك، قال تعالى:

" أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ " (الزخرف/32)

ومن هنا كما ذكرنا كان تعجبهم ونكرانهم لأن يكون من يأتي بخبر السماء هو واحد منهم، قال تعالى:

" ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ " (ق/1-3)

" أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ " (يونس/2)

" وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ " (ص/4)

ولم يكتفوا بذلك بل طعنوا أيضا في ذلك الخير المنزّل منه جل و علا (القرءان العظيم) عليهم فقالوا عنه إن هو إلا أساطير الأولون، قال تعالى:

" وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ " (الأنعام/25)

" وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا إِنْ هَـذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ " (الأنفال/31)

" وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ " (النحل/24)

" لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ " (المؤمنون/83)

" وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا " (الفرقان/5)

" إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ " (المطففين/13)

ولم يكتفوا بذلك بل قالوا من أنه أفك افتراه وغير ذلك من الأكاذيب، قال تعالى:

" وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْمًا وَزُورًا * وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا " (الفرقان/ 4-5)

حتى أنهم طلبوا منه عليه أفضل الصلاة والسلام أن يأتيهم بقرءان غير هذا أو يبدله، قال تعالى:
" وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ " (يونس/15)

و هنا لا بد و أن نشير إلى أن القرآن الكريم المنزّل منه جل وعلا آية (معجزة) تزيد أعجازا عما سبقها من آيات فهو آية لكل زمان و لكل مكان، آية لكل الناس، آية دائمة إلى أن يرث الله الأرض و ما عليها، و لكنها آية غير مبصرة إبصارا مباشرا، أي آية غير مادية كما هو الحال مع ناقة صالح أو عصا موسى أو غير ذلك من الآيات المبصرة، فهو آية من أراد أن يبصرها فلابد له من تدبرها ليرى ما تحمله من أعجاز، وهو ما لم يفعله أولئك الكفار و المشركون، فهم وكما مر بنا من حال ما سمعوا بآيات ذلك الكتاب العظيم استهزؤوا بها وقالوا من أنها قول شاعر أو أنها من أساطير الأولين تتلى عليه و من أنها أفك افتراه و غير ذلك من الأكاذيب، و لم يعلموا من أن هذا القرءان بصائر للناس ، أي يبصرهم للحق، قال تعالى:

" هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ " (الجاثية/20)

من جميع ما جاء في تلك الآيات و غيرها الكثير نستطيع أن نرى من أن هناك حرب شعواء شنها الكفرة من أهل الكتاب مستخدمين فيها أولئك الأميين من أهل قريش، حرب الأساس فيها المصالح لا الحق، حرب هدفها القضاء على ذلك الدين الجديد و النيل من ذلك الحق المنزّل منه جل و علا، بل و النيل من الرسول المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، حرب لم يسلم منها حتى أهله وعشيرته، حرب استخدموا فيها كل ما يملكون من باطل لهدم تلك الدعوة ، ومن أهم تلك الأسلحة هي دحض ذلك البرهان الساطع المنزّل منه جل وعلا على نبيه الكريم كما ذكرنا، فكان قولهم لأهل قريش أن أسألوه أن يأت لكم بآية مبصرة كما هو حال الرسل من قبله، فقال أهل قريش ما قال أولئك الكافرون من أهل الكتاب، قال تعالى:

" وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ " (الأنعام/124)
" وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلٍ آيَةً وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ " (الأنعام/37)
" وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّهِ فَانْتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ " (يونس/20)
" وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ " (الرعد/7)
" وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى " (طه/133)

" وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ " (الرعد/27)

بل وقالوا أكثر من ذلك في هذا الباب، فقالوا لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية منه جل وعلا، وهو ما قال به السابقون، قال تعالى:

" وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ " (البقرة/118)

" وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ " (النحل/35)

بل وقالوا من أنهم يؤمنوا له إلا أن يأتيهم بـ..، قال تعالى:
" وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً " (الإسراء/90-93)

من جميع ذلك نستطيع أن نرى من أنهم أدّعوا من أن ما يحول بينهم وبين الإيمان هو أن يأتيهم بآية مبصرة (مادية) من السماء، وهي ادعاءات باطلة لا يريدون من ورائها إلا المناورة لمحاربة تلك الرسالة السماوية،
بل وأقسموا على تلك الادعاءات، أي على أنهم سوف يؤمنون حال إتيانه لهم بآية مبصرة(مادية) وهو ادعاء كاذب كما ذكرنا، قال تعالى:
" وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ " (الأنعام/109)

كما وكذب ادعاءاتهم تلك بالكثير من الآيات منها قوله تعالى:

" وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ " (الأنعام/7)

وهنا، ومن بعد تلك الافتراءات والأكاذيب خاطب المولى جل وعلا رسوله الكريم مواسيا له:

" وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ " (فاطر/25)
" كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ " (الذاريات/52-54)
" وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ

مُّبِينٌ * وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ * وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ " (سبأ/43-45)

من هنا نستطيع أن نرى وبكل وضوح من أن الكفار من أهل الكتاب وأهل قريش يناورون مع النبي كذبا وبهتانا من أنهم كانوا ليؤمنوا لو جاءهم بآية مبصرة (مادية) كما هو حال السلف من الرسل والأنبياء وأقسموا على ذلك، وهنا، ومن حيث بشريته (عليه أفضل الصلاة والسلام) ومن حيث خلقه العظيم كما أوضحنا في بداية تلك المقدمة و قع ذلك الادعاء وذلك القسم منهم موقع التصديق منه (عليه أفضل الصلاة و السلام)، فرأى كما هو حال البشر من أنه لا حاجز بين قومه و بين الإيمان بما أُنزل عليه إلا أن يأتيهم بآية مبصرة، ومن فرط حبه لهم، أي لأهل مكة وللناس جميعا، ولما في قلبه من رحمة للناس جميعا، مثّل له هذا **الأمر** (أمر أن يأتيه الله جل وعلا بآية مبصرة) هاجسا لا يفارقه أملا بإنقاذهم وإنقاذ الناس جميعا من عذاب واقع بهم لا محالة، هاجسا سبب له الكثير من المعاناة.

ولكن السؤال هنا هو: هل هم صادقون في قولهم؟ هل هم صادقون في قسمهم؟ وهنا نجد أن الإجابة تأتي من العليم الخبير، مخبرا رسوله الكريم بكذبهم، ومن أنهم لا يختلفون عمن سبقهم في قولهم ذلك، فقد كذّب السابقون بالآيات المنزّلة منه جل وعلا، وكذبوا الرسل واستهزؤوا بهم قال تعالى:

" فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ " (آل عمران/184)

" وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ " (الأنعام/10)

" وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ " (الأنعام/34)

" وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ " (الرعد/32)
" وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون " (الأنبياء41)
" وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ " (فاطر/4)

وعليه فإن ما قيل له هو ما قيل لمن قبله من الرسل، قال تعالى:

" مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ " (فصلت/43)

وما سيكون منهم هو عين ما كان من الأقوام السابقة، فقوم ثمود كذبوا رسولهم صالح عليه السلام فعقروا الناقة وهي من الآيات المبصرة (المادية) التي أنزلت عليهم، وما حصل مع نبي الله موسى عليه السلام ليس ببعيد، فهو قريب العهد بمحمد عليهما السلام،

فقد أيده المولى عز وجل حال ما أمره بالذهاب لدعوة فرعون وقومه لدين الحق بتسع آيات بيّنات، ومع ذلك لم يثمر ذلك في فرعون ولا في الكثير من قومه، قال تعالى:

" وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ * إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ*وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * فَلَمَّا جَاءتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ " (النمل/10-13)

و ذات الأمر مع قوم موسى من اليهود(بني إسرائيل)،فقد آتاهم الله جل وعلا من الآيات المبصرة ما لم يؤت لغيرهم و مع ذلك أنكروا وجحدوا، [فقد شق لهم البحر ليعبروا و أغرق فرعون و قومه و هم ينظرون، و رفع فوقهم الطور و غير ذلك الكثير] و أنقذهم من بطش فرعون و جنوده و لكنهم مع كل ذلك جحدوا و عصوا، و عبدوا العجل حال غياب موسى عنهم لأربعين ليلة، بل وحال أن طلب منهم موسى عليه السلام دخول القرية التي وعدهم بها المولى عز وجل أبوا و امتنعوا و قالوا لموسى، قال تعالى:

" قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ " (المائدة/24)

ومن هنا كانوا عنوانا للجحود والعصيان، فهم من أكثر الأقوام طلبا للآيات المبصرة وهم من أكثر الأقوام لها نكرانا وجحودا.

وهو ما أرى السبب الرئيسي لتكرار ذكر الحديث عنهم في آيات الذكر الحكيم، وذلك لما في الحديث عن جحودهم وعنادهم من عبرة للمؤمنين في الخطاب العام، ومن عبرة وعظة لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام في الخطاب الخاص وذلك لما للحديث عنهم من علاقة وطيدة بذلك الهاجس الذي أشرنا له من قبل، وهو ما سنرى توضيحا له حال الكلام عن الأحرف المقطعة.

من هذا الواقع، أي من واقع ما كان من الأقوام السابقة كان قوله تعالى:

" وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا " (الإسراء/59)

بل وأخبر المولى عز وجل رسوله الكريم من أنهم لن يؤمنوا له حتى ولو أنزل لهم المولى عز وجل آية مبصرة (مادية)، قال تعالى:

" وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ * أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ * وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ * وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ " (الأنعام/4-10)

ولا ينتهي الموضوع عند عدائهم لذلك الدين الجديد حفاظا على مصالحهم، ولكن هناك أمر آخر جعلهم يناصبون ذلك الدين العداء ألا وهو البعث من بعد الموت ومن ثم الحساب، فهو أمرا صعب عليهم تصديقه، فقد أنكروه جملة وتفصيلا، فسخروا من محمد عليه أفضل الصلاة والسلام من هذا الباب وكذبوه، وقالوا ما قال الأولون من أن هذا كذب ومن أساطير الأولون، قال تعالى:

" بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ * قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ " (المؤمنون/81-83)

" بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ * وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ * وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ * وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ " (الصافات/12-17)

" أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ " (الصافات/53)

" أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ " (ق/3)

" وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ " (الواقعة/47)

ومن قبل أن ننهي تلك المقدمة لا بد من إيضاح أمر مهم جدا ألا وهو أنه مع وجود آية مبصرة مع الأنبياء والرسل السابقون لمحمد (عليه أفضل الصلاة والسلام) ألا أنهم عانوا الكثير من أقوامهم والذين لم يؤمن منهم إلا القليل، فكيف الحال والنبي محمد (عليه أفضل الصلاة والسلام) لم تكن معه أية آية مبصرة إبصارا مباشرا كما كان يود الذين كفروا، من هذا المنظور نستطيع أن نتصور مدى الشقاء والعناء الذي واجهه ذلك النبي الكريم في تبليغ الرسالة؟ خصوصا وأن هناك طابور خامس من أهل الكتاب يعمل ضده، ويُؤلب الناس عليه، وأي ناس، ناس راسخ لديهم أن آيات التصديق للأنبياء والرسل لابد وأن تكون <u>آيات مبصرة</u> [إبصارا مباشرا كما ذكرنا] أي تُرى بالعين وتلمس باليد.

من هنا وكما ذكرنا عانى النبي محمد (عليه أفضل الصلاة والسلام) معاناة شديدة في تبليغ الدعوة، معاناة ضاق بها صدره، قال تعالى:

" فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ " (هود/12)

" وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ " (الحجر/97)

معاناة كتمها عليه أفضل الصلاة والسلام في صدره ولم يبح بها [وذلك من واقع أن المولى عز وجل لم يورد أي آية في الذكر الحكيم تتضمن إشارة لتلك المعاناة على لسان محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وهو أمر له من الأهمية الشيء الكثير]، ولكنها، أي تلك المعاناة، لا تخفى على المولى عز وجل، فهو يعلم الجهر وما يخفى، فقد بين المولى لرسوله الكريم علمه بما يعانيه في أكثر من آية منها وذلك على سبيل المثال لا الحصر: قال تعالى:

" فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا " (الكهف/1-6)

" طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ * وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون " (الشعراء/1-5)
" كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ " (الأعراف/2)
" فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ " (هود/112)

" وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ " (الحجر/97)

وما تكرار الأمر له من المولى عز وجل بالصبر على ما يقول أولئك الناس وما يفعلون إلا دليلا على شدة المعاناة التي كان يعانيها عليه أفضل الصلاة والسلام، فقد ورد الأمر له بالصبر في أكثر من سبعة عشر آية من آيات الذكر الحكيم منها، قال تعالى:
" وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىَ يَحْكُمَ اللّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ " (يونس/109)

" تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ " (هود/49)

" وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ " (هود/115)

" وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ " (النحل/127)
" فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى " (طه/130)

" فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ " (الروم/60)

" اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ " (ص/17)
" فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ " (غافر/55)
" فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ " (الأحقاف/35)
" فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ " (ق/39)
" وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ " (الطور/48)

" فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ " (القلم/48)

" وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا " (المزمل/10)

" فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا " (الإنسان/24)

وهنا يأتي السؤال: وهل ترك المولى عز وجل عبده المصطفى وحيدا يكابد الشقاء من تلك المعاناة، لا وألف لا، فهو الرحمن الرحيم، الذي وسعت رحمته كل شيء فما قولك بمن أصطفى من عباده، فما قولك بمن أرسله هدى ورحمة للعالمين، قال تعالى:
" وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى * وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى *وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى " (الضحى/1-5)

كما واسى نبيه الكريم في أكثر من آية منها قوله تعالى:

" طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى " (طه/1-2)

وعندما جاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجا (وأهل مكة على رأسهم) أنشرح صدره عليه أفضل الصلاة والسلام، فخاطبه المولى عز وجل ذلك الخطاب الرحماني، فقال عز من قائل:
" أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ " (الشرح/1-8)

الخلاصة:

من كل ذلك نخلص إلى أن محمدا عليه أفضل الصلاة والسلام عانى من أمرين رئيسيين في مواجهة أولئك الضالين من أهل الكتاب ومن أهل مكة، الأول أن أهل الكتاب استخدموا المخزون المعرفي لديهم والذي استقوه من التوراة والإنجيل في محاربة ذلك الدين القيّم بشكل مباشر وفي شكل غير مباشر وذلك من خلال استثارة أهل مكة والناس عليه، وهو الأمر الذي يتطلب العون والتوجيه من السماء فهو نبي أميّ لا علم له بتلك المعارف، قال تعالى:
" وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ " (العنكبوت/48)
" قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ " (الأعراف/1589)

أما الأمر الثاني فهو ذلك الأمر الذي أشرنا له من قبل، ألا وهو ذلك الهاجس الذي عانى منه عليه أفضل الصلاة والسلام، هاجس ما أدعاه أولئك الضالون ووجد مكانا في قلبه الطاهر من أنه لا يمنعهم عن تصديقه والإيمان برسالته إلا أن تكون معه آية مبصرة يرونها بأعينهم ويلمسونها بأيديهم، **هاجسا أخفاه عن الناس** ولكنه لا يخفى على المولى عز وجل كما ذكرنا، فهو العليم بما في الصدور، و هو من " يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ "، و هما أمران ضاق بهما صدره كما أوضحنا.
وإني لأرى في هذا الإخفاء منه عليه أفضل الصلاة والسلام لذلك الهاجس عن الناس العلة في وجود خطاب خاص ضمني منه جل وعلا لرسوله الكريم وبالتالي السبب لوجود تلك الأحرف المقطعة المنبه أو الدالة على الوجود لذلك الخطاب الخاص داخل الخطاب العام، والتي في ذات الوقت يحمل كل حرف منها دلالة معينة ترتبط بمحور

من محاور ذلك الخطاب الخاص إن لم ترتبط بالمضمون العام له، وهو ما سنرى له توضيحا حال دراستنا لتلك الأحرف.

من هنا كان ذلك الخطاب الخاص الضمني للرسول الكريم والذي يتمحوّر بالعموم حول هذين الأمرين، خطابا من سماته انه:

- يحمل في طياته الطمأنينة والمواساة لهذا الرسول الكريم، ومن أن النصر قريب،
- يبين له كيفية التعامل مع أولئك الضالين المكذبين بل و مع الناس أجمعين،
- يشدّ من أزره، ويحثه على الصبر وعلى مواصلة الدعوة للحق ولو كره الظالمون،
- يبين له كذب أولئك الضالين،
- يبين له من أن الآيات عنده جل وعلا أمر هين ولكن التنزيل لها يتم وفقا لمشيئته جل وعلا، فهو جل جلاله ينزّل منها ما يشاء وقت ما يشاء على من يشاء، فهو المحيط بعلمه، القادر الذي لا يعجزه شيء، وإنما أمره كن فيكون، وعليه فقد نبه نبيه من أن يبعد عنه هذا الهاجس الذي شغل فكره وهمّه كثيرا وضاق به صدره وإلا فليأت لهم بآية إن استطاع، قال تعالى:

" وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاء اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ " (الأنعام/35)

بل وحذره من أن يُفتن من قِبلهم وحينها سوف يتخذونه خليلا، قال تعالى:

" وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً * وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً * إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا * وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً " (الإسراء/73-76)

- يبين المولى عز وجل فيه لرسوله الكريم من أن هذا القرآن المنزل منه جل وعلا آية معجزة أكبر من جميع المعجزات المبصرة السابقة، ولا تبديل لها، فهي آية دائمة لا يحدها مكان ولا زمان، وهو ما تتطلبه الرسالة المنزّلة عليه فهي آخر رسالة من السماء وهو خاتم الأنبياء،
- يبين له ما عانى الرسل من أقوامهم (الناس) من جحود وعناد، فهذا نوح عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ولم يؤمن معه إلا القليل.
وغير ذلك من أمور في ذات السياق.

وهي كما نرى أمور في مجملها لا يقتصر نفعها على الرسول فقط بل يشمل الناس كافة، و عليه، فيما أرى كان ذلك الخطاب الموجه له خطاب خاص داخل خطاب عام، أي خطاب خاص ضمني لا خطاب خاص صريح، فالنفع للطرفين، للرسول الكريم و للناس كافة مسلمهم و مؤمنهم، كافرهم و مشركهم و غير ذلك.

و خلاصة لكل ذلك نستطيع القول من أن الحروف المقطعة في أوائل بعض السور إنما تمثل إشارة تنبيه له عليه أفضل الصلاة و السلام إلى وجود خطاب خاص له

ضمن الخطاب العام يتعلق بذلك الهاجس الذي أخفاه عن الناس كما بينا من قبل، أما ذات الحروف فتخدم الإشارة إلى الهدف الرئيسي لما يتناوله ذلك الخطاب الخاص و هو ما سنأتي على توضيحه لاحقا.

ومن قبل أن ننهي هذه المقدمة لابد من ذكر أن السور الغير بادئة بأحرف مقطعة هي من النوع الأول أو الثاني من الخطاب والذي نوّهنا عنه في التمهيد الأول، أي أنها سور تقتصر على خطاب عام للناس أو سور تقتصر على خطاب خاص صريح له عليه أفضل الصلاة والسلام ذات نفع للمؤمنين، ومن الأمثلة على ذلك سورة النساء كخطاب عام للناس وللمؤمنين، سورة النور كخطاب خاص صريح للمؤمنين، سورة الضحى والكوثر وغيرها كخطاب خاص صريح لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وبهذا نكون قد أنهينا تلك المقدمة وأوضحنا العلة من وراء تلك الأحرف المقطعة، راجيا منه جل وعلا أن أكون قد أصبت ووفقت في ذلك وإن لم يكن فأسأل الله المغفرة، فهذا اجتهاد مني وليس كل مجتهد بمصيب، وعليه ومن بعد الاستعانة بالعلي القدير فلنذهب لتدارس السور البادئة بتلك الأحرف المقطعة للتوصل إلى ما يشير له كل حرف من تلك الأحرف واضعين في أذهاننا الأمرين الرئيسيين اللذان أشرنا لهما فيما سبق وما استنبطنا من إشارات لتلك الحروف، على أن انوه هنا من أن استعراضنا لآيات السور التي سنتطرق لها في هذا البحث لا يأتي من باب التفسير و لكن يأتي من باب البحث لمعرفة للخطاب الخاص الضمني و للاستدلال على ما يشير له كل حرف من تلك الأحرف المقطعة.

الباب الثاني

الإشارة في الأحرف المقطعة

مقدمة:

ذكرنا في التمهيد من أن هناك خطاب عام وخطاب خاص وخطاب عام يتضمن بداخله خطاب خاص، وهو ما أطلقنا عليه مسمى الخطاب الخاص الضمني اختصارا، وقلنا من أن السور البادئة بالأحرف المقطعة أو بحرف منفصل هي من النوع الثالث من الخطاب، أي الخطاب العام والخاص في ذات الوقت.

كما وذكرنا في فقرة المعاناة من أن هناك أمران همّا رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام الأول منها هو تلك الحرب الشعواء التي شنها عليه أهل الكتاب مستخدمين في ذلك ما عندهم من علم من السماء، و الثاني هو ذلك الهاجس الذي أثقل قلبه عليه أفضل الصلاة والسلام وهمه كثيرا ألا وهو شعوره من أن الحائل بين تصديق الناس له و لما يتنزّل عليه هو أن تنزّل عليه آية مبصرة (الإبصار المباشر) كما هو حال من قبله من الرسل، وهو شعور ما كان إلا لفرط حبه لقومه و للناس جميعا كما أوضحنا في أول البحث، وقد ذكر المولى عز وجل ادعائهم ذلك في الكثير من الآيات منها ما جاء في سورة الإسراء، قال تعالى:

" وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً " (الإسراء/90-93)

بل وأقسموا على ذلك كما مر بنا، قال تعالى:

" وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ " (الأنعام/109)

و في النهاية خلصنا إلى أن تلك الحروف المقطعة في أول السور إنما تمثل إشارة تنبيه للرسول الكريم على وجود خطاب خاص له داخل ذلك الخطاب العام و الذي تمثله السورة كاملة، كما و قلنا من أن ذات الحروف تشير للهدف الرئيسي لما يتناوله ذلك الخطاب الخاص و هو ما سنبينه من خلال التدبر لتلك الآيات البادئة بأحرف مقطعة.

ولتسهيل الأمر على القارئ العزيز فقد ارتأيت تقسيم تلك الحروف لثلاث مجموعات، المجموعة الأولى منها هي تلك المجموعة الغير متكررة، أي الواردة لمرة واحدة فقط في سور الذكر الحكيم، والتي يقتصر البحث عن الإشارة لها على ما جاء في السورة الوارد بها تلك الأحرف أو ذلك الحرف، عدا ما هو بالنسبة للأحرف (كهيعص) الواردة بسورة مريم وذلك من حيث أن الإشارة لكل حرف قد ورد في تلك السورة الكريمة مباشرة عدا حرف الصاد، وهو ما سنستنبط الإشارة له من سورة (ص)، أما المجموعة الثانية فهي تلك المجموعة التي تتكرر حروفها في أكثر من سورة من سور الذكر الحكيم، وهو ما يتطلب البحث في أكثر من سورة للتوصل لما تشير له تلك الأحرف،

وأخيرا المجموعة الثالثة وهي مجموعة تلك الأحرف التي لا تخرج المعرفة لما تحمله من إشارة على ما تم التوصل له من معرفة سابقة لذات الأحرف، وسيتم الإشارة لأحرف كل مجموعة حال التعامل معها، كما أنني في نهاية البحث سوف أعرض ما توصلت له في استنباط العلة من وراء ورود البعض من تلك الأحرف كآية بينما البعض الآخر يرد كجزء من آية، وهو اجتهاد مني أسأل الله جل وعلا من أن يوفقني فيه، ولنبدأ على بركة الله .

أولا: المجموعة الأولى:

تضم هذه المجموعة كل من الأحرف التالية (كهيعص، ص، ق، ن)

ولنبدأ بالأحرف (كهيعص) الواردة بسورة مريم

الأحرف (كهيعص): سورة مريم:

قال تعالى:

" كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا * يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا * **<u>قَالَ كَذَلِكَ</u>** قَالَ رَبُّكَ <u>هُوَ عَلَيَّ **هَيِّنٌ**</u> وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا * قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا * يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا * وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * **<u>قَالَ كَذَلِكِ</u>** قَالَ رَبُّكِ <u>هُوَ عَلَيَّ **هَيِّنٌ**</u> وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا "

من خلال ما جاء في تلك الآيات الكريمة من سورة مريم نرى أن هناك معجزتين قد ذكرهما المولى عز وجل الأولى هي أن وهب لزكريا غلاما يرثه، ويرث من آل يعقوب.

وقد جاءت الإشارة لتلك المعجزة بكلمة (**كذلك**) [أنظر الآيات أعلاه] من بعد تعجب زكريا من أن يكون له ولد وهو كبير في السن وامرأته عاقر، وهي الكلمة التي أوضحها المولى عز وجل في سورة آل عمران، قال تعالى:

" هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء * فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَـى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ * <u>قَالَ رَبِّ أَنَّىَ يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ **قَالَ كَذَلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ** مَا يَشَاء</u> " (آل عمران38-40)

وما ذلك الفعل إلا الإصلاح لزوجه، قال تعالى:

" وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ " (الأنبياء/89-90)

كما ذكر المولى عز وجل في ذات الآيات من سورة مريم من أن هذا الأمر هين عليه، قال تعالى:
" قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ **هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ** ......"

وذات الأمر حدث مع مريم عليها السلام، إذ جاءتها الملائكة ببشرى أن يكون لها مولود ذكر اسمه عيسى، وهو الأمر الغريب المعجز فهي غير متزوجة والإنجاب يتطلب أن يكون هناك زوجا (ذكرا) وزوجة (أنثى) ولكنها إرادة الله عز وجل والذي إذا أراد أمر إنما يقول له كن فيكون، وهنا أورد الله جل وعلا قول مريم وتعجبها من أن يكون لها مولود ولم يمسسها بشر، قال تعالى:

" قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا "

فقال المولى عز وجل:
" قَالَ كَذَلِكِ ...." [أنظر الآيات أعلاه]

وكما كان الحال من زكريا عليه السلام كان مع مريم عليها السلام إذ قال المولى عز وجل " .... هو علي هين..." [أنظر الآيات أعلاه]
وهنا أيضا نجد توضيحا لقوله تعالى" قال كذلك ..." في سورة آل عمران كما هو الحال مع زكريا عليه السلام، قال تعالى:

" قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ **قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ** إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ " (آل عمران/47)

[ملاحظة: قد يتساءل البعض عن الاختلاف في قول المولى عز وجل (يفعل ما يشاء) حال الإخبار عن زكريا (يخلق ما يشاء) حال الإخبار عن مريم، فنقول من أن الوضع حال زكريا كان الإصلاح لزوجه وهو فعل لا يتطلب الخلق بينما الوضع حال مريم هو الإيجاد من العدم أي خلق، وهذا من باب التوضيح]

من خلال ذلك الإيضاح لما جاء في تلك الآيات الكريمة نستطيع القول من أن:
حرف الكاف (ك) يشير إلى إتمام الأمر (المعجزة) منه جل وعلا [كذلك]،
وحرف الهاء (ه) يشير إلى السهولة في ذلك بالنسبة له جل وعلا [هين]
وحرف الياء(ي) يشير لمن وهِب لزكريا [يحيي عليه السلام]
وحرف العين(ع) يشير لمن وهِب لمريم عليها السلام [عيسى عليه السلام]
وكما أشرنا في أول البحث، لا يتبقى معنا غير حرف الصاد (ص) وهو ما سنبحث ما يحمله من إشارة من خلال ما جاء في سورة (ص)،

حرف الصاد(ص): سورة (ص):

قال تعالى في سورة (ص):

" ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ "

من هذه الآية الكريمة نستطيع القول من أن هذا القرءان العظيم يحمل صفة الذكر، والذكر للإنسان غالبا لا يكون إلا للصالحين من البشر وذلك للتأسي بهم، أما الضارين فلا يذكر إلا القليل منهم وذلك لاتقاء شرهم أو شر من يماثلهم، ومنه ومن خلال ما جاء في تلك السورة المباركة نجد أنها تأتي على ذكر الصالحين من البشر وخير أولئك هم الأنبياء والرسل، فقد جاء في تلك السورة الكريمة ذكر الكثير من أولئك الصادقين الصالحين المتقين الأخيار، قال تعالى:

" اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ " (17)

" وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ " (30)

" وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ " (41)

" وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ " (45-47)

" وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنْ الْأَخْيَارِ " (48)

" هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ " (49)

من ذلك نستطيع القول من أن حرف (ص) في هذه السورة الكريمة يشير إلى الصالحين الصابرين المتقين الأخيار [الذكر للبعض منهم لا للجميع]، وهو ما لا يبتعد عما جاء في سورة مريم البادئة بالأحرف المقطعة (كهيعص)، ففي تلك السورة (سورة مريم) نجد أيضا ذكرا لأولئك الصادقين المتقين، قال تعالى:

" وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * ......* فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا * وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا * وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا " (مريم/41-52)

" وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا " (مريم/53)

" وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا " (مريم/54)

" وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا " (مريم/56-57)
" أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا " (مريم/58)

وأيضا نجد ذكرا لأولئك الصالحين المتقين في سورة الأعراف، والتي تبدأ بالحروف المقطعة (المص)، قال تعالى:

" لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ " (الأعراف/59)

" وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ " (الأعراف/65)
" وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " (الأعراف/ 73)
" وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ " (الأعراف/80)

" وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" (الأعراف/ 85)

" وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ" (الأعراف/ 94)

" ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُواْ بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ" (الأعراف/ 103)

" الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" (الأعراف/157-158)

وبهذا يكون قد أكتمل لدينا ما تشير له الحروف المقطعة (كهيعص) الواردة بسورة مريم.

الخلاصة:

من خلال الإيضاح لما جاء في تلك السورة الكريمة ومما قلنا به في المقدمة من الغرض من تلك الحروف المقطعة نستطيع القول من أن تلك الحروف المقطعة (كهيعص) والتي تمثل الآية الأولى من سورة مريم بمثابة التنبيه لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام من أن هناك خطاب خاص له في تلك السورة يتعلق بذلك الهاجس الذي ينتابه، ومن أن هذه الأحرف تشير إلى المضمون الرئيسي لذلك الخطاب، ذلك المضمون الذي يتلخص في أن الآيات عنده جل و علا أمر هين لا يعجزه الإتيان بها

وقت شاء على من شاء من عباده، و لو أراد جل و علا من أن ينزّل عليه آية مبصرة (مباشرة) لفعل فلا راد لمشيئته جل وعلا، فقد وهب لزكريا (يحيى) وهو أي زكريا كبير في السن و امرأته عاقر و كذلك الأمر بالنسبة لمريم عليها السلام فقد وهبها (عيسى عليه السلام) وهي بتول، كما أنزل الكثير من الآيات المبصرة (الإبصار المباشر) على عبادة الصالحين الصادقين من أنبياء ورسل ، ولكنها إرادته وعلمه الذي أحاط بكل شيء أن جعل ذلك القرءان العظيم هو الآية التي أنزلها على عبده محمد عليه أفضل الصلاة و السلام.
ومنه نستطيع القول من أن ما جاء في ذلك الخطاب الخاص لا يتعدى عن كونه إشارة لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام لاستبعاد ذلك الهاجس الذي يدور في خلده.

وبهذا نكون قد أنهينا توضيح ما تحمله تلك الحروف المقطعة في هذه السورة الكريمة من إشارات ومعاني، وكذلك الأمر بالنسبة للحرف المنفصل في أول سورة (ص)، ومنه فلننتقل لسورة أخرى وحروف أخرى ولتكن سورة (ق).

حرف القاف (ق) سورة (ق):

رأينا فيما مر بنا من آيات مدى إنكار مشركي قريش للقرآن العظيم، ومن قولهم من أنه من أساطير الأولين، ومن قولهم من أن محمد (عليه أفضل الصلاة والسلام) شاعر ومجنون وغير ذلك.
ومنه فإن عموم ما جاء في هذه السورة يدور حول ذلك الإنكار بل و إنكار قدرة الله على بعثهم من بعد الموت و إن كانوا يعترفون بوجود الله جل و علا و من أنه هو الخالق لهم و للسماوات و الأرض ولكن ينكرون ما أنزل منه (القرءان العظيم) و ينكرون من اصطفى من عباده ليكون رسوله إليهم [محمد عليه أفضل الصلاة و السلام]، بل و عجبوا من أن يكون ذلك المصطفى واحدا منهم، و هي ازدواجية في الفكر تدعو للعجب، قال تعالى:
" ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ "

ومن ثم تسترسل السورة في وضع الأدلة والبراهين على عظمة وقدرة الله جل وعلا لأولئك المشركين من أهل قريش، ومن أن بعثهم من بعد الموت أمر هين عليه عز وجل فهو من خلقهم أول مرة وهو من خلق السماوات والأرض وما بينهما، وأنزل لهم الغيث فزرعوا وأكلوا هم وأنعامهم.
ثم من بعد ذلك يفصّل لهم المولى عز وجل ما يكون حال البعث، وأخيرا يوجّه المولى عز جلاله خطابه لرسوله الكريم موصيا إياه بالصبر على ما يقولون معطيا له بعض من الأمثلة على الصبر والمثابرة، ومن ثم يأمره بالا يكون جبارا متسلطا في دعوته، وأن يُذكّر بالقرءان من يخاف وعيد.
من هنا نستطيع القول من أن السورة في خطابها العام توضح حال أولئك المشركين من أهل مكة من إنكار لقدرة الله جل وعلا، وفي الخاص هي الدعوة لمحمد للصبر على ما يقول أولئك المشركون وعلى المثابرة بالدعوة مهما كان أعراضهم، ومن هنا

نقول أن حرف القاف(ق) الوارد في أول السورة لا يتعدى الإشارة لقريش، وما جاء في الآية الثانية من تلك السورة ليدل على ذلك بكل وضوح، ففي تلك الآية قال المولى عز وجل" بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم ......" و ما أولئك إلا أهل قريش.

كما وإن وصفه تعالى للقرآن بالمجيد في هذه السورة تحديدا ليدل أيضا على أن (ق) تشير لقرش، فالقرءان لم يتنزل إلا على رسول الله محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، كما أن كلمة (مجيد) والتي تشير إلى الثبات والاستدامة لتشير لعكس ما طالب به أهل قريش من تغيير لتلك الآية (القرءان) أو تبديل ما جاء فيه، قال تعالى:

" وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ " (يونس/15)

وعليه فإن إضافة المجيد للقرءان في هذه الآية لها دلالة خاصة كما هو الأمر في سورة (ص) حيث أن إضافة (ذي الذكر) للقرءان كان لها دلالة خاصة أوضحناها فيما سبق، إما في هذه السورة فما تلك الدلالة إلا القول من أن هذه الآية [المعجزة (القرءان)] لا تغيير لها و لا تبديل آمن من آمن و كفر من كفر كما ذكرنا أعلاه.

هذا ما أراه من معنى وإشارة لحرف (ق) الوارد بتلك الآية الكريمة والله أعلم، ومنه ننتقل لحرف النون (ن) الوارد بسورة القلم.

حرف النون (ن) سورة القلم:

ورد هذا الحرف في سورة القلم كجزء من آية لا آية، قال تعالى:

" ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ * فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ "

ومن خلال ما مر بنا من تدبر لسورة (ص) وسورة (ق) رأينا من أن هناك رابط ما بين الحرف المنفرد [(ص)/ (ق)] وما يأتي من بعده، ففي سورة (ص) والتي يقول فيها المولى عز وجل:

" ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ "

رأينا من أن".. القرءان ذي الذكر" تعود على (ص)، فهم الصالحون وهم من جاء القرءان على ذكرهم سواء في تلك السورة الكريمة أو في غيرها.

وكذلك الأمر لِما جاء في سور (ق)، قال تعالى:

" ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ "

فقد رأينا من أن " ... القرءان المجيد " بما تحمله كلمة المجيد من معنى الثبات والديمومة تعود على (ق)، والتي أوضح المولى عز وجل ما تشير له بقوله:

" بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ "
والتي نفهم منها أنهم أهل قريش، أولئك الذين طلبوا تغيير هذا القرءان أو تبديله.

ومنه، وبتطبيق ذات المبدأ على ما جاء في تلك السورة الكريمة نستطيع القول من أن الضمير في فعل (يسطرون) يعود على حرف النون(ن)، ومن قوله تعالى: " مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ " من بعد قوله تعالى: " ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ "
نستطيع أن نفهم من أن (ن) تشير إلى أولئك الناس الذين قالوا عن محمد عليه أفضل الصلاة والسلام (انك لمجنون)، وما أولئك إلا الضالون للسبيل، و قد ذكر المولى قولهم ذاك في العديد من الآيات منها، قال تعالى:

" وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ " (الحجر/6)

" قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ " (الشعراء/27)

" وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ " (الصافات/36)

" فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ " (الطور/29)

ومن بعد ذلك بين لنا المولى عز وجل بعض من صفات أولئك الذين ضلوا السبيل محذرا رسوله من إطاعة أيا منهم، قال عز من قائل:

" إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ * وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ " (القلم/ 7-16)

موضحا له من أن أولئك لا يختلفون عن أصحاب الجنة اللذين أقسموا ليصرمنها مصبحين، ولكنهم في نهاية الأمر اعترفوا من أنهم كانوا ظالمون، وهو حال أولئك الذين حذره المولى عز وجل من إطاعتهم فهم ظالمون، قال تعالى:

" إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * ....* قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا **إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ** " (القلم/17-29)
ومن بعد ذلك يعود المولى عز وجل بالخطاب لرسوله الكريم محذرا إياه من أن يكون كصاحب الحوت، قال تعالى:

" فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ * لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاء وَهُوَ مَذْمُومٌ * فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ * وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ " (القلم/48-52)

وما صاحب الحوت إلا سيدنا يونس عليه السلام، حيث ما ترك قومه الذين بعثه الله لدعوتهم للإيمان، فلم يصبر لعنادهم ومكابرتهم فأبق إلى الفلك المشحون، فساهم فكان من المدحضين، فالتقمه الحوت، ولولا إنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون، قال تعالى:

" وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ " (الصافات/ 139-146)

وهو بهذا، أي حال تركه لقومه من قبل أن يأذن له العلي القدير ظلم نفسه، فكان من الظالمين، وكان في الظلمات، فنجاه الله جل وعلا كما ينجي المؤمنين، قال تعالى:

" وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ " (الأنبياء/87-88)

ومن هنا كان قوله تعالى لرسوله الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام ما جاء في أواخر سورة القلم، قال تعالى:

" فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ "

ولكن العلي القدير تداركه، أي تدارك نبيه يونس عليه السلام بنعمة منه من بعد أن نبذه في العراء، قال تعالى:

" لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ "

واجتباه وجعله من الصالحين، قال تعالى:

" فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ "

ومن ثم أرسله لقوم آخرين مائة ألف أو يزيدون، فآمنوا جميعا، قال تعالى:

" وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ " (الصافات/139-148)

الخلاصة:

من جميع ذلك يمكننا أن نؤكد على ما ذهبنا إليه من أن حرف النون (ن) يشير للظالمين، و من أن وصفه جل و علا لسيدنا يونس من أنه ذا النون ليحمل الإشارة إلى ما كان منه عليه السلام كما أوضحنا، فوصفه جل و علا ليونس بذا النون جاء حال تركه لقومه و هو في حالة غضب، أي حال حدوث ذلك الأمر، قال تعالى:

" وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا ...."

أما من بعد ذلك، أي حال مخاطبة المولى عز وجل لرسوله الكريم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وهو حال حاضر لا حال حدوث الحدث، فقد وصف المولى عز وجل

سيدنا يونس بصاحب الحوت، فقد ذهبت عنه صفة النون و ذلك من بعد ما اجتباه ربه جل و علا و جعله من الصالحين كما ذكرنا أعلاه، قال تعالى:

" فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ "

ثانيا: المجموعة الثانية:

وتضم الأحرف: [الم، الر، المر، المص، طسم، طس، حم، عسق] والتي جاء ورودها كالتالي:

البقرة	(الم)		
آل عمران	(الم)	غافر	(حم)
الأعراف	(المص)	فصلت	(حم)
العنكبوت	(الم)	الشورى	(حم ، عسق)
الروم	(الم)	الزخرف	(حم)
لقمان	(الم)	الدخان	(حم)
السجدة	(الم)	الجاثية	(حم)
الرعد	(المر)	الأحقاف	(حم)
إبراهيم	(الر)	طه	(طه)
الحجر	(الر)	يس	(يس)
يونس	(الر)	الشعراء	(طسم)
هود	(الر)	القصص	(طسم)
يوسف	(الر)	النمل	(طس)

و هنا أود أن أسترعي انتباه القارئ الكريم إلى ما سبق وان ذكرته من أنني ما قمت بفعل ذلك الفصل إلا للصعوبة في استنتاج الدلالة لكل حرف من تلك الأحرف المكررة، فذلك التكرار يجعل من المعرفة لمدلولات تلك الأحرف أمر لا يتأتى إلا من خلال المعرفة العامة لمضمون السورة و السور الأخرى المشتركة معها بذات الحروف بالإضافة لسياق ورود الآيات في كل سورة ولعموم تسلسل الأحداث ، و ذلك لمعرفة الخطاب الخاص الذي تتضمنه، وهو الأمر الذي نستطيع أن نتبيّن منه مدى الصعوبة في تدارس ذلك الأمر، وعليه فإننا في هذا الموضع من البحث لا بد وأن ننوه من أننا سنقوم بعملية استعراض سريع للآيات لمعرفة المضمون العام للسورة مع بعض التفصيل لما جاء في بعض من تلك الآيات والتي نرى من أنها ذات علاقة بموضوع البحث (دلالات الأحرف المقطعة)، وعليه فإنني أنوه مرة أخرى من أن هذا الاستعراض السريع لمحتوى السورة لا يمثل شرحا تفصيليا لآيات السورة و إنما هو استعراض للبحث عن الدلائل لما نهدف له كما ذكرنا،

كما أود أن أنوه من أنني في هذا البحث سأكتفي بالتدبر لبعض من السور البادئة بذات الأحرف المقطعة لاستنباط ما يشير له كل حرف من تلك الحروف لا جميع السور و ذلك تجنبا للإطالة تاركا للقارئ الكريم تدبر البقية الباقية من تلك السور إن أراد الاستزادة، و لنبدأ من بعد الاستعانة بالعلي القدير بالأحرف المقطعة (الر).

الأحرف المقطعة (الـر):

وردت هذه الأحرف في ست من السور كما مر معنا، واحدة منها في وسطها حرف الميم (م) وهي التي وردت في سورة الرعد، قال تعالى:

" المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ " (الرعد/1)

وكما نلاحظ في تلك الآية من أن الأحرف المقطعة (المر) قد وردت كجزء من آية لا كآية وهو حال جميع الأحرف المقطعة (الـر) فهي لا ترد كآية ولكن كجزء من آية، كما نلاحظ من أن أربع من تلك السور سميت بأسماء رُسل، و فيما يلي تلك السور:

يونس (الر) الرعد (المر)
هود (الر) الحجر (الر)
يوسف (الر)
إبراهيم (الر)

من خلال التدبر لتلك السور الوارد بها تلك الأحرف المقطعة (الـر) نجد أنها على وجه العموم تتكلم عن الناس وعن مكابرتهم وتكذيبهم للرسول ولذلك الكتاب المنزل منه جل وعلا ومن ثم تعطف على ما كان من الأقوام السابقة من مكابرة وتكذيب لرسلهم ولما نزل عليهم من آيات مبصرة ولكن كانوا عنها غافلين مذكرة إياهم بما كان مصير أولئك السابقون وذلك من حيث الخطاب العام، أما من حيث الخطاب الخاص الضمني والمناط به رسول الله محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فيأتي من باب المواساة للرسول المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام مما يعانيه من صلف قومه ومن باب حثه على الصبر فيما يواجهه من شدائد أسوة بما كان من الرسل من قبله، أي يـأتي ذلك الخطاب الخاص من قبل العبرة والعظة له عليه أفضل الصلاة والسلام ، ولنأخذ بعض من الأمثلة :

سورة يونس:

تشير هذه السورة في مجملها إلى ضلال وعناد أهل قريش (الناس) وعن الكيفية في التعامل معهم من قبل الرسول المصطفى عليه السلام وذلك من واقع ما كان من تعامل الرُسل من قبله مع أقوامهم الضالون وما لاقوه منهم من صلف وأذى.

فالسورة من بعد التذكير بآيات الذكر الحكيم تذكر الناس (قريش) بما كان منهم حيث ما عجبوا من أن يوحي إلى واحد منهم فقال الكافرون منهم إن هذا إلا ساحر مبين، ثم من بعد ذلك تعطف السورة على ذكر العديد من آيات الله جل وعلا وما ينتظر المكذبين بتلك الآيات من عذاب عظيم وما هم إلا أولئك الذين لا يرجون لقاء الله جل وعلا.

هؤلاء الناس هم أيضا من كذبوا بالقرءان فقالوا لنبيهم ائت بقرءان غير هذا أو بدله، قال تعالى:

" وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ " (يونس/15)

فهم من يعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعائنا عند الله سبحانه وتعالى عما يشركون، ويدّعون من أنهم يصدقونه لو أُنزلت عليه آية من ربه، قال تعالى:

" وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ .." (يونس/20)

فقال له ربه جل وعلا:

" .... فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّهِ فَانْتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ " (يونس/20)

و من ثم يضرب لهم المولى عز وجل بعض من نعمه على الناس، و منها أنه هو المنجي لعباده حين الضراء، و هو المحييّ و هو الرازق، و من ثم تعطف السورة مرة أخرى على القرءان العظيم وعلى قولهم من أن محمد عليه أفضل الصلاة و السلام هو من افترى ذلك القرءان، فكان قوله تعالى:

" وَمَا كَانَ هَـذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ " (يونس/37-39)

ومن ثم يخاطب المولى عز وجل الناس بفضل ذلك القرءان عليهم فيقول عز من قائل:

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ " (يونس/57)

ومن ثم تعرج السورة على عطف المولى عز وجل على رسوله الكريم والشدّ من أزره مقابل ذلك الكذب والعناد من أولئك الكافرين من الناس، فيخاطب رسوله المصطفى، قال تعالى:

" وَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " (يونس/65)

مبينا له عدم فلاح أولئك الذين يفترون على الله الكذب وإن ينتظرهم إلا عذاب شديد، قال تعالى:

" مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ " (يونس/70)

و من هنا يبدأ المولى عز وجل بذكر بعض من الرسل وما كان من أقوامهم، وما كان مصيرهم في الحياة الدنيا وما ينتظرهم من مصير في الآخرة، وبدأ بنوح عليه السلام ثم اثني بموسى عليه السلام وختم بما كان من قوم يونس ومن أنهم الوحيدون الذين نفعهم إيمانهم في اللحظات الأخيرة من قبل نزول العذاب عليهم، قال تعالى:

" فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ " (يونس/98)

وهي آية فيها إسقاط للرسول الكريم من أن الله جل وعلا هو من بيده أن ينزل العذاب على من يشاء أو يرفعه عمن يشاء، ثم يعذل المولى عز وجل على محمد عليه أفضل الصلاة والسلام من أن لا يحزنه عناد وتكذيب أولئك الناس، فلو شاء ربك لآمن الناس جميعا، قال تعالى:

" وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ " (يونس/99-100)

ثم يختم المولى عز وجل تلك السورة بموعظة للناس وللرسول، قال تعالى:

" قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِنْ أَعْبُدُ اللّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ * وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ * وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىَ يَحْكُمَ اللّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ " (يونس/104-109)

الخلاصة:

من خلال ذلك الاستعراض الموجز لما جاء في تلك السورة المباركة نستطيع القول من أن مجمل ما جاء فيها لا يتعدى العظة للناس بوجوب الإيمان بالله و بالقرءان المنزّل منه جل وعلا كخطاب عام، وعظة للرسول في ذاكيين الأمرين اللذان ذكرناهما في أول البحث، وهو ما يمثل الخطاب الخاص الضمني في تلك السورة الكريمة عظة تأتي من خلال ضرب الأمثلة بما كان مع بعض الرسل وأقوامهم (الناس)، ومن حيث أننا قد ذكرنا في أول هذا البحث من أن دلالة الأحرف المقطعة تتعلق بالمضمون الرئيسي للخطاب الخاص الضمني ومما جاء في ذلك الاستعراض نستطيع القول من أن حرفيّ (ال) يشيران للناس، أما حرف الراء(ر) فيشير للرسل، والله أعلم.

ولنأخذ مثالا آخر لتعميم ما توصلنا إليه، ولتكن سورة هود.

سورة هود:

تبدأ هذه السورة الكريمة بالتذكير بذلك الكتاب الذي أُحكمت آيته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، ومن ثم تعرج على توجيه الرسول الكريم في مخاطبة قومه (الناس)، ومن ثم تعرج على ذكر قدرة الله ومن أن الناس مبتلون وعلى تذكير الرسول الكريم بقول أولئك الضالون من أن البعث من بعد الممات ما هو إلا ضرب من السحر، ومن ثم يعود الخطاب للرسول الكريم مواسيا له على ما يقول أولئك الضالون، قال تعالى:

" فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ " (هود/ 12)

ومن ثم يأخذ سياق الآيات في ذكر بعض من ضلالات أولئك الناس وواصفا إياهم بالخاسرين، قال تعالى:

" أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ * لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ " (هود/ 21-22)

ومن ثم تعرج السورة على ذكر ما كان من قوم نوح عليه السلام ومن أنه لن يؤمن معه إلا من قد آمن مذكرا إياه بعدم اليأس أو الضعف، وعن كيفية نجاته ومن آمن معه بقدرة من الله جل وعلا، قال تعالى:

" وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ" (هود/ 36)

ومن ثم تأتي السورة على ذكر عقاب أولئك الضالون ومن أن ذلك من أنباء الغيب التي يوحيها المولى عز وجل لرسوله الكريم داعيا إياه للصبر حيال أولئك الضالون من قومه (الناس) مذكرا إياه من أن العاقبة للمتقين، قال تعالى:

" تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ" (هود/ 49)

ومن ثم تعرج السورة على ذكر قوم عاد (الناس) وما كان موقفهم من أخاهم هود عليه السلام، وكيف أ نجاه الله جل وعلا والذين معه من عذاب غليظ، قال تعالى:

" وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ" (هود/ 58)

وهكذا تستمر السورة في عرض ما كان من (الناس) أقوام بعض الرسل وعنادهم واستكبارهم عن الإيمان بالله ورسوله، فتذكر لنا ما كان من ثمود قوم صالح وكيف أنجاه الله جل وعلا ومن معه برحمة منه، قال تعالى:

" فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ" (هود/ 66)

وهكذا مع إبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، ومن ثم يذكر المولى عز وجل من أن تلك من أنباء القرى يقصها على رسوله الكريم للعبرة والعظة ولمواساته في ما يهمّه من قومه، قال تعالى:

" ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ" (هود/ 100)

ومن ثم يعود سياق السورة لذكر بعض من مشاهد الآخرة وما ينتظر المكذبين من عذاب عظيم، مذكرا جل وعلا المؤمنين بألا يركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّهم النار، قال تعالى:

" وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ" (هود/ 113)

وموصيا رسوله بالصبر، قال تعالى:

" وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ" (هود/ 115)

ومذكرا أياه من أنه جل وعلا لا يهلك قرية وأهلها مصلحون، قال تعالى:

" وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ " (هود/ 117)

ومن أنه جل وعلا لو شاء لجعل الناس أمة واحدة، قال تعالى:

" وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ" (هود/ 118)

ومن أنه جل وعلا إنما يقص على رسوله تلك القصص ليثبت فؤاده، ومن أن تلك القصص هي الحق منه جل وعلا ومن أنها موعظة وذكرى للمؤمنين، قال تعالى:

" وَكُـلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ" (هود/ 120)

هذا ملخص موجز لما تتكلم عنه تلك السورة المباركة، والذي نستطيع منه أن نرى من أن ما جاء فيها أيضا لا يتعدى العظة للرسول في ذاكيين الأمرين اللذان ذكرناهما في أول البحث، وهو ما يمثل الخطاب الخاص الضمني في تلك السورة الكريمة. عظة تأتي من خلال ضرب الأمثلة بما كان مع بعض الرسل و أقوامهم (الناس)، وأما بالنسبة للدلالة التي تحملها تلك الحروف فمن خلال ذلك الاستعراض لما جاء في تلك السورة الكريمة نستطيع القوا من أن حرفيّ (ال) يشيرا للناس أما حرف الراء(ر) فيشير للرسل، وهو ما لا يختلف عما توصلنا له من دلالة لها في السورة السابقة (سورة يونس)، والله أعلم.

ولنأخذ مثالا آخر للتأكيد مرة أخرى على ما توصلنا له في الآيتين السابقتين ولتكن سورة يوسف.

سورة يوسف:

تبدأ هذه السورة كما هو الحال في السور السابقة بالتذكير من أن آيات تلك السورة هي من آيات الكتاب المبين، والذي أنزله المولى عز وجل قرءانا عربيا للناس لعلهم يعقلون، قال تعالى:

" الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " (يوسف/1-2)

ومن ثم تبدأ السورة بسرد قصة يوسف عليه السلام بصورة مفصلة وما ذلك إلا لتبين للرسول الكريم مدى مكر الناس، وكيف كانت العاقبة ليوسف عليه السلام، فقد أرادوا به أمر وأراد الله جل وعلا له أمرا آخر فكان، وفي ذلك عظة وعبرة له عليه أفضل الصلاة والسلام وللمؤمنين جميعا من أنه لا غالب إلا الله، قال تعالى:

" ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ " (يوسف/ 102)

مذكرا إياه من أنه جلا وعلا لم يرسل من قبله عليه أفضل الصلاة والسلام إلا رجالا يوحي إليهم، ردا على قومه الذين دأبوا على القول من أنه لو أراد الله بنا خير لبعث لنا رسلا من الملائكة وهو ما مر بنا فيما سبق، قال تعالى:

" وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ " (يوسف/ 109)

ومن ثم يخبر المولى عز وجل رسوله المصطفى من أنه جل وعلا ناصر رسله ومنجيهم ومن يشاء متى ما جاء بأس الله على القوم المجرمين، قال تعالى:

" حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ " (يوسف/ 110)
وفي نهاية السورة يذكر المولى عز وجل لرسوله المصطفى من أن في قصص أولئك الرسل وما كان من أقوامهم (الناس) عبرة لأولي الألباب، قال تعالى:

" لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ " (يوسف/ 111)

الخلاصة:

تستعرض هذه السورة الكريمة قصة أحد الرسل الكرام وما كان من مكر الناس (أخوته وأمرة العزيز) له، مكرا عانى منه كثيرا، ولكن الله جل وعلا أنجاه من كيدهم ومكرهم، بل وأعزه ورفع من مقامه، وما ذلك إلا عظة للرسول المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام وطمأنة له من أن لا يهاب مكر الذين كفروا، قال تعالى:

" وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ " (الأنفال/30)

ومن أن هذا هو حال الرسل من قبله والذين كانوا رجالا مثله، فجميعهم واجهوا مثل ذلك المكر من أقوامهم وصبروا على أذاهم وكيدهم حتى إذا يأسوا وظنوا أنهم كُذِبوا جاءهم نصر الله جل وعلا والذي أبدا لا يخذل رسله وهو على نصرهم لقدير، قال تعالى:
" حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ " (يوسف/ 110)

فالله جل وعلا لا يخذل رسله، وهو على نصرهم لقدير، وهو ما كان من أمر يوسف عليه السلام كما ذكرنا، ومن ثم يذكّر المولى عز وجل رسوله محمدا عليه أفضل الصلاة والسلام من أنه لم يرسل من قبله إلا رجالا يوحى إليهم.
من هذا الملخص نستطيع أن نتبيّن من أن الخطاب الخاص الضمني للرسول المصطفى لا يتعدى العظة للرسول في ذاكيين الأمرين اللذان ذكرناهما في أول البحث، عظة تأتي من خلال ما كان من أمر سيدنا يوسف عليه السلام مع أخوته ومع قومه، وما كان من نصر الله له، فالله جل وعلا لا يخذل رسله مهما مكر الظالمون، والعاقبة للصابرين، وأيضا، ومن خلال ذلك الاستعراض لما جاء في تلك السورة المباركة نجد أن الدلالة للأحرف المقطعة والواردة في أول هذه السورة لا تختلف عما توصلنا له في السور السابقة.

والأمر كذلك بالنسبة لما جاء في سورتيّ إبراهيم والحجر، فالأمر لا يتعدى ما جاء في السور الثلاث السابقة والتي توضح للرسول المصطفى ما عانى منه الرسل [ر] من أقوامهم (الناس) [ال] وما ذلك إلا من باب أخذ العظة، كما وتوضح له من أن الله جل وعلا لا يخذل رسله أبدا بل هو ناصرهم على أعدائهم مهما كادوا ومهما مكروا، فنصر الله للصابرين قريب، وعذابه للظالمين شديد وفي ذلك عبرة للناس أجمعين.

ولكن هنا قد يتساءل القارئ الكريم عن وجود حرف الميم مع الأحرف(الـر) ليكوّن الأحرف(المر) والواردة في الآية الأولى من سورة الرعد، قال تعالى:

" المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ " (الرعد/1)

وهنا لا يسعنا إلا القول من أن هذا الأمر، أمر وجود حرف الميم (م) مع الحروف (الـر) يمكن استنباطه بقليل من التدبر لما جاء في تلك السورة،

سورة الرعد: الأحرف(المر):

فمن بعد تذكيره جل وعلا من أن آيات تلك السورة هي من آيات الكتاب والذي انزل بالحق، ومن بعد أن يبين المولى عز وجل بعض من نعمه على الإنسان، وعلى قدرته في إيجاد تلك النعم بمختلف أشكالها وأنواعها، ومن أن في ذلك آيات لقوم يعقلون، يتجه المولى جل وعلا في خطابه إلى محمد عليه أفضل الصلاة والسلام بقوله:

" وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدونَ * وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ * وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ " (الرعد/5-7)

ومن ثم يبين العلي القدير للإنسان علمه المحيط بكل شيء فهو يعلم ما تحمل كل أنثى وهو عالم الغيب والشهادة ويعلم ما يسرون وما يجهرون، ومن أن كل ما في الكون يسبح بحمده إلا الضالون من الناس فهم يجادلون في الله جل جلاله، قال تعالى:

" وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاء وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ" (الرعد /13)

واصفا من لا يرون الحق المنزّل منه جل وعلا بالعمى، أما من يرونه فهم أولوا الألباب، قال تعالى:

" أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ" (الرعد/19)

واعدا أولوا الألباب أولئك الذين يوفون بالعهد ولا ينقضون الميثاق ويصلون ما أمر الله أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم بعُقبى الدار، بجنات عدن، قال تعالى:

" جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ" (الرعد /23)

أما الذين كفروا فهم في ضلالهم يتخبطون، فهم قالوا ولا زالوا يقولون لولا أنزل عليه آية من ربه، قال تعالى:

" وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ‘‘ (الرعد/27-28)

ومن ثم يخاطب المولى عز وجل رسوله محمدا عليه أفضل الصلاة والسلام من أنه أرسل في أمة قد خلت من قبلها الأمم ليتلوا عليهم ما أوحي إليه من ربه، قال تعالى:

" كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِيَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَـنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ *وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاء اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ " (الرعد/30-31)

ومن أنه قد استهزئ برسل من قبله فأملى للذين كفروا ثم أخذهم بالعذاب، قال تعالى:

" وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ" (الرعد/32)

ومن أنه جل وعلا قد أرسل رُسل من قبله وجعل لهم أزواجا وذرية أي بشر لا ملائكة، ومن أن الآيات لا تأتي لهم إلا بإذنه جل وعلا، ومن أنه يمحو ما يشاء من تلك الآيات ويثبت ما شاء، ومنه فما عليك يا محمد إلا البلاغ، قال تعالى:

" وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ * يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ * وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ " (الرعد/38-39-40)

مخبرا رسوله من أنهم سيمكرون كما مكر الذين من قبلهم ولكن لله المكر جميعا، قال تعالى:

" وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ" (الرعد/42)

وفي النهاية يبلِغ المولى عز وجل رسوله الكريم من أن يقول لأولئك المكذبين كفى بالله شهيدا بيني وبينكم، قال تعالى

" وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ" (الرعد/43)

هذا ملخص موجز جدا لما تتكلم عنه تلك السورة المباركة، والذي نستطيع منه أن نرى من أنها تحتوي على خطاب عام للناس وعلى خطاب خاص ضمني للرسول محوره الأساسي ذاكيين الأمرين اللذين ذكرناهما في أول لبحث، خطاب عام للناس متوعدا من كفر منهم بسوء العذاب وبحسن الجزاء لمن آمن منهم وكان من الصالحين، وخطاب خاص ضمني للرسول مبينا له مكر أولئك الضالين المكذبين، فهم بجانب إنكارهم للبعث يطلبون من محمد عليه أفضل الصلاة والسلام أن يأتيهم بآية مبصرة، وهنا يخبر المولى عز وجل رسوله الكريم من أنه قد استهزئ بالرسل من قبله من تلك الفئة الضالة، و من أن الرسل من قبله ما كانوا إلا بشرا مثلهم مثله وما تتنزل عليهم الآيات إلا بإذنه

جل و علا فهو من يمحوا ما يشاء من الآيات ويثبت ما شاء، وفي النهاية يحذره المولى عز وجل مرة أخرى من مكر أولئك الضالون بل ومن إنكارهم له كرسول الله، وهنا يخبره المولى عز وجل بأن يقول يكفيني أن يكون الله جل وعلى هو الشهيد فيما بيني و بينكم.

وعليه، ومن ذلك الملخص يتبين لنا أن حرف الميم (م) الوارد في وسط الأحرف (المـر) يشير لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام والله أعلم، فهو المخاطب مباشرة بجزء كبير من تلك السورة بجانب الذكر لما كان حال الرسل من قبله وهو ما كان من باب العظة له عليه أفضل الصلاة والسلام، ذلك الذكر لمن قبله من الرسل هو ما يشير له حرف الراء(ر) وهو ما يتفق وما أسلفنا، والأمر كذلك بالنسبة لحرف (ال) فهو يشيرا للناس كما هو في الآيات السابقة.

والآن ومن بعد أن أنهينا البحث في دلالة الأحرف المقطعة (الر) و (المر) لنأت على البحث في ما تبقى من أحرف و لتكن أحرف (الم).

الأحرف المقطعة (الم):

وردت هذه الأحرف في ست من السور هي:

البقرة	(الم)	لقمان	(الم)
آل عمران	(الم)	السجدة	(الم)
العنكبوت	(الم)	الروم	(الم)

بالإضافة لورودها مع حرفيّ الصاد والراء، فوردت على صورة (المص) كما في سورة الأعراف وعلى صورة (المر) كما في سورة الرعد وهي التي بحثنا دلالة كل حرف منها في ما سبق، وقد توصلنا في ذلك البحث إلى أن حرفيّ الألف واللام (ال) تشير للناس ومن أن حرف الميم (م) يشير لرسول الله محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وهو ما سنحاول التأكيد عليه من خلال البحث في بعض من تلك السور الست الوارد بها تلك الأحرف ومن ثم نعرج على تبيان الإشارة للأحرف (المص)، ولنأخذ سورة البقرة كمثال أول:

سورة البقرة:

تبدأ آيات تلك السورة الكريمة ببيان مهم للناس ألا وهو أن الكتاب المنزل منه جل وعلا لا ريب فيه وهو هدى للمتقين، ومن ثم تبدأ السورة بتبيان أنواع الناس من حيث العقيدة فتبدأ بالمؤمنين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقهم الله ينفقون، قال تعالى:

" الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " (البقرة/3-5)

ثم تعطف على الذين كفروا واصفة إياهم بعدم الإيمان مهما أُنذروا، قال تعالى:

" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ " (البقرة /6-7)

ومن ثم النوع الثالث وهم أولئك الذين يقولون آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين مفصلة في وصفهم، قال تعالى:
" وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * ....* أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ " (8-16)

ومن ثم تعود الآيات لمخاطبة الناس داعية إياهم بعبادة الذي خلقهم ومن قبلهم مذكرة إياهم ببعض نعم الله عليهم، ومن ثم تسأل من كانوا في ريب مما أنزل الله على عبده من أن يأتوا بسورة من مثله فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا فنار جهنم في انتظارهم، ومن ثم تبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا لهم.
ومن ثم تعود السورة لتذكير أولئك المنافقون والكفار بأن الله بكل شيء عليم، ومن هنا كانت قصة استخلاف آدم عليه السلام وما كان من أمره مع إبليس.
من بعد ذلك يذكّر المولى عز وجل بني إسرائيل بنعمة الإيمان التي أنعمها عليهم مطالبا إياهم بأن يوفوا بعهدهم وأن يرهبوا الله جل وعلا، قال تعالى:

" يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * ...." (البقرة (40-46))
ومن ثم يعود المولى عز وجل مذكرا بني اسرائيل من أنه فضلهم على العالمين، قال تعالى:
" يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ " (البقرة/47)

ومن بعد ذلك كان تذكير المولى عز وجل بنعمه البينة عليهم حيث شق لهم البحر وأنجاهم من فرعون وقومه ولكنهم في النهاية عبدوا العجل ما أن غاب عنهم موسى أربعين ليلة، و لما عاتبهم موسى عليه السلام عن ذلك، و تاب عليهم المولى عز وجل، كان رد فعلهم أكثر سلبا فقالوا لن نؤمن لك حتى ترينا الله جهرة، قال تعالى:

" وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ " (البقرة/54-57)
ولم يتوقف جحودهم وعصيانهم عند ذلك و لكن استمر وتنوع فمن القرية التي امتنعوا عن دخولها، إلى البقرة التي ما كادوا أن يذبحوها، كل ذلك و نعم الله جل و علا لم تتوقف عنهم فمن الأنثى عشر عينا إلى الطعام المتنوع إلى رفع الطور فوقهم ولكن أصروا على جحودهم و عصيانهم، و من هنا كان تحذيره عز وجل للمؤمنين منهم، قال تعالى:

" أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ " (البقرة/75)
وتتوالى الآيات في تبيان ما كان من أمرهم مع رسولهم موسى عليه السلام من جحود وعصيان، ومع من جاءوا من بعده وما كان من تكذيبهم لِما جاء به رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام، قال تعالى:
" وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ " (البقرة/89)

ومنها ومن بعد ما قالوا من أنهم لا يؤمنون إلا بما أنزل عليهم، أمر المولى عز وجل رسوله الكريم بأن يقول لهم، قال تعالى:

" قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآَخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ " (البقرة/94)

وكذلك أن يقول لهم من أن جبريل هو من نزّل القرءان على قلبه بإذن الله فمن كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدوا للكافرين، قال تعالى:
" قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ " (البقرة/97-98)
ومن ثم يخبر المولى عز وجل رسوله الكريم من أن ما أنزل عليه هو آيات بينات لا يكفر بها إلا الفاسقون، قال تعالى:
" وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ " (البقرة/99)

ومن ثم تعطف السورة مرة أخرى على المؤمنين مخبرة إياهم من أن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين لا يودون أن ينزّل عليكم من خير من ربكم، قال تعالى:

" مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ" (البقرة/105)

كما ويحذرهم من أن يكونوا كبني إسرائيل فيسألوا رسولهم كما سأل بنو إسرائيل رسولهم موسى عليه السلام، قال تعالى:

" أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ " (البقرة/108)

حيث سألوه أن يروا الله جهرا كما جاء في الآية (55) من سورة البقرة والآية (153) من سورة النساء، قال تعالى:

" وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ " (البقرة/55)

" يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاء فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُّبِينًا " (النساء/153)
وهي أقوال لا تبتعد كثير عن أقوال الذين لا يعلمون، قال تعالى:

" وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ " (البقرة/ 118)

ومن ثم يخاطب المولى عز وجل رسوله الكريم من أنه جل وعلا قد أرسله بالحق ولن يسأل عن أصحاب الجحيم، قال تعالى:
" إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ" (البقرة/ 119)

من ثم يخبر المولى عز وجل رسوله الكريم من أنه لن ترضى عنه اليهود ولا النصارى إلا أن أتبع ملتهم، قال تعالى:
" وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ" (البقرة/ 120)

ولكن الله لا يريد له ولا لأتباعه إلا إتباع ملة إبراهيم عليه السلام، قال تعالى:

" وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (البقرة/ 135)
ومن ثم يحذر المولى عز رسوله الكريم من أن الذين أوتوا الكتاب لن يتبعوا قبلته مهما آتاهم من آية وعليه فلا تتبع أهوائهم، ولئِن اتبعت أهوائهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين، قال تعالى:
" وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ" (البقرة/ 145)

ومن ثم تأتي السورة على ذكر بعض التشريعات، وعلى حث المؤمنين للاستعانة بالصبر والصلاة فإن الله مع الصابرين، قال تعالى:
"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ" (البقرة/153)
مبينة من أن الذين كفروا عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، قال تعالى:

" إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ " (البقرة/160-161)
مذكرة الناس من أن آيات الله كثيرة لمن يريد أن يعقل، قال تعالى:
" إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا

مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" (البقرة/ 164)

ومن ثم تنتقل السورة لتعطي لمحة عن حال أولئك الضالون حال ما يرون العذاب يوم القيامة، قال تعالى:
" وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ" (البقرة/ 165-166)
ومن ثم تعود آيات السورة لاستكمال التشريعات للذين آمنوا، ومنها تشريعات القتال، وهنا تعود الآيات لتذكر بما كان من بني إسرائيل حيال ذلك الأمر، أمر القتال قال تعالى:
" أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ " (البقرة/ 246)

ومن ثم يعود المولى عز وجل لمخاطبة رسوله المصطفى، قال تعالى:

" تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ " (البقرة/252)
ليبين للناس من أنه وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور بينما الذين كفروا أولياءهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات، قال تعالى:

" اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (البقرة/257)
ومن ثم تأتي الآيات على ذكر مثلين على ذلك، الذي حاج سيدنا إبراهيم عليه السلام، والذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، ومن ثم تتوالى الآيات في ذكر ما للمؤمنين من ثواب ومكملة لهم بعض من التشريعات، ثم يأتي ختام تلك السورة الكريمة بذلك الدعاء الذي يجب على الإنسان المؤمن أن يدعوا به مولاه وخالقه طلبا للمغفرة وطلبا للنصر على القوم الكافرين، قال تعالى:

" لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ " (البقرة/268)

الخلاصة:

من خلال تدبرنا لهذه السورة نستطيع أن نلاحظ وبكل وضوح من أن هذه السورة أسهبت في الحديث عن عناد وجحود بني إسرائيل، كما وأسهبت في تحذير المؤمنين من مغبة إتباعهم في أفعالهم، وهو الأمر الذي نستطيع أن نستنتج منه أن هذه السورة

قد نزلت من بعد هجرة الرسول المصطفى ومن تبعه من المؤمنين إلى يثرب(المدينة)[وهو ما قال به جل الفقهاء والمفسرون]، أي الهجرة من مجتمع أميّ يقلب عليه طابع الإشراك إلى مجتمع يعج بفئة من أهل الكتاب، فئة يغلب عليها طابع المكر والدهاء، فئة تضمر الشر لكل من يحاول أن يمس مكانتهم كأصحاب كتاب، وما أولئك إلا بني إسرائيل، وهي فئة لا يعرف عنها أولئك الوافدون الجدد إلا القليل، ومن هنا كما أرى كان ولا بد من تبيان حقيقة تلك الفئة لأولئك الوافدين الجدد، والذين يجهلون عنها الكثير كما ذكرنا، فكان ذلك التبيان المطول في سورة البقرة عن أولئك الضالين المضلين والتحذير منهم.

وعودة للحروف المقطعة (الم) الواردة كأول آية في تلك السورة المباركة نستطيع القول من أن تلك الحروف تشير لوجود خطاب خاص ضمني للرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، وهو ما توصلنا له في أول البحث، خطاب يشير إلى كيفية تعامل هذا الرسول المصطفى مع كل فئة من الناس (المؤمنون، الكافرون، المنافقون، وغيرهم) من الذين جاء ذكرهم في تلك السورة الكريمة، خطاب يبين للرسول من أن من الناس من يعميهم جحودهم وعصيانهم عن رؤية الحق فهم لا يؤمنون مهما أنذروا، قال تعالى:

" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ *وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * ....* أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ " (البقرة /6-16)

ومن أن هؤلاء الناس هم من ذات الفئة التي بينها الحق جل وعلا في سورة الأنعام، والذين لن يؤمنوا ولو رأوا كل آية، قال تعالى:

" وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ " (الأنعام/25)

ومنه ينبه الخطاب الرسول الكريم بوجوب الحذر من أولئك الناس وعلى وجه الخصوص (بني إسرائيل)، فهم من أوضح الأمثلة على العصيان والجحود مع كثرة نعم الله عليهم ومع كثرة الآيات المنزلة عليهم كما بينت الآيات، مع الحرص على تحذير المسلمين من أن يحذوا حذوهم.

وعليه نستطيع القول من أن حرفيّ الألف واللام (ال) من تلك الحروف المقطعة يشيرا إلى الناس بينما حرف الميم (م) يشير إلى محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وهو ذات ما توصلنا إليه سابقا (المر/ سورة الرعد)، وإلى مثال آخر:

سورة آل عمران:

من بعد ذلك التبيان المطول لسلوك أولئك الناس الضالون المضلّون في سورة البقرة، وعلى رأسهم بني إسرائيل، وتحذير المؤمنين منهم، تأتي سورة آل عمران لتوضح للمؤمنين سلوك فئة أخرى من أهل الكتاب إلا و هم النصارى أتباع عيسى عليه السلام وتحديدا الكافرين منهم، فهم ليسوا كبني إسرائيل في العناد والجحود ولكن الكافرين منهم أيضا يضمرون الشر لأولئك القادمون الجدد (المؤمنون)، كما وتوضح سلوك فئة أخرى ألا وهي فئة المنافقين، وتحذر المؤمنين منهم، وهو الأمر الذي يدل على أن هذه السورة نزلت من بعد سورة البقرة، ومن بعد ما زاد عدد المؤمنون في المدينة، سواء من أهلها أو ممن حولها من الأعراب، مما أدى لظهور تلك الفئة .

هذا الأمر، أمر ازدياد عدد المؤمنين وظهور كيان مستقل لهم أربك أهل قريش، وزاد من مخاوفهم على مصالحهم، فكان ولا بد من إضعافهم، بل وكسر شوكتهم فزحفوا لقتالهم أي لقتال المؤمنين، فكانت أول المعارك ما بين أهل الحق وأهل الضلال، وكانت معركة بدر والتي أنتصر فيها المؤمنون بقيادة رسولهم المصطفى، فكانت الفاتحة لانتشارٍ كبيرٍ لهذا الدين القيّم، قال تعالى:

" وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " (آل عمران/123)

ولم يهنأ لأولئك المشركون بال من بعد تلك الهزيمة فعاودوا الكرة فكانت موقعة (أحد) و التي أنهزم فيها المؤمنون من بعد انتصار وما ذلك إلا لعصيان كثير من المؤمنين لأوامر رسولهم عليه أفضل الصلاة والسلام، فكانت عليهم عسرا، وكانت درسا للمؤمنين بوجوب طاعة الله و طاعة رسوله، وأمرا قدره المولى عز وجل ليبيّن فيه للرسول و لمن صدق من الصحابة أمر أولئك المتخاذلين والمنافقين، قال تعالى:

" وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ * إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ " (آل عمران/152-155)

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ يُحْيِـي وَيُمِيتُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " (آل عمران/156)

" وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ " (آل عمران/166)

" وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ * الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ " (آل عمران/167-168)

الخلاصة:

من هذا الإيجاز القصير لأهم أحداث وأهداف تلك السورة الكريمة نستطيع أن نرى مدى التكامل فيما بينها وبين سورة البقرة، فبينما تلك السورة (البقرة) تحذر المؤمنين من بني إسرائيل وتفضح سلوكياتهم نجد أن هذه السورة (آل عمران تحذر المؤمنين من الكفار من أهل الكتاب [يهود ونصارى] ومن المنافقين وتبين سلوك كل منهما، كما وتبين للرسول الكريم كيفية التعامل مع كل منهما.

من ذلك نستطيع القول من أن الأحرف المقطعة (الم) في هذه السورة لا تختلف في الإشارة ولا في الدلالة عما بيّناه في السورة السابقة، أي أن حرفيّ الألف واللام (ال) من تلك الحروف المقطعة يشيرا إلى الناس بينما حرف الميم (م) يشير إلى محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

(المص) سورة الأعراف:

تبدأ تلك السورة الكريمة في الآية الثانية، أي من بعد ذكر تلك الأحرف المقطعة (المص) في الآية الأولى، بخطاب موجّه للرسول المصطفى من رب العزة جل وعلا، قال تعالى:

" كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ "

ومن ثم يتوجه الخطاب في الآية الثالثة لأهل قريش بأن يتبعوا ما أُنزل إليهم لا غير، قال تعالى:

" اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ "

ومن ثم، و في ما بعدها من آيات يذكّر المولى عز وجل أهل قريش بمصير من كان قبلهم من القرى إذا جاءهم بأس الله و من اعترافهم حينها من أنهم كانوا ظالمين و لكن هيهات لهم من أن يفيدهم ذلك الاعتراف ذلك الحين، قال تعالى:

" وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ * فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُواْ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ "

ومن هنا تبدأ البداية بقوله تعالى:

" فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ "

فتتوالى القصص عظة وعبرة لأهل قريش و لمن كان على شاكلتهم، فيبدأ الأمر بقصة آدم عليه السلام و ما كان من أمره حال عصيانه لأمر ربه بغواية من إبليس، ومن ثم تحذيره جل وعلا لنسل آدم (بني آدم) من فتنة الشيطان تلك الفتنة التي أخرجت أبويهما من الجنة، مخبرا إياهم من أنه سيبعث لهم رسلا يقصون عليهم آياته، فمن صدق واتقى فلا خوف عليهم ولا يحزنون أما المكذبين فهم في النار خالدون، قال تعالى:

" يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " (الأعراف/35-36)

ومن ثم ترينا آيات السورة بعض من المشاهد لأهل الجنة ولأهل النار وبعض مما يدور بينهم من حوار عبر حجاب يفصل بينهم وعلى الأعراف* رجال يعرفون كلا بسيماهم، قال تعالى:

" وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ " 0 الأعراف/46)

[الأعراف*: يقال من أنه أعلى الحجاب وهو الذي يصفه المفسرون بالسور مستمدين ذلك مما جاء في سورة الحديد، قال تعالى:

" يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ " (الحديد/13-14)]

ومن ثم تعود الآيات مذكرة أهل قريش بذلك الكتاب الذي أنزل عليهم هدى ورحمة منه جل وعلا، قال تعالى:

" وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ " (الأعراف/52)

ومذكرة إياهم في الآيات التالية بقدرته جل وعلا، وبنعمه عليهم وعلى العالمين.

ومن بعد ذلك تعود الآيات لتكملة ذلك السرد لقصص بعض من القرى التي كذبت الرسل وكذبت بآيات الله وما كان من أمرهم، فتبدأ بقصة نوح مع قومه ومن ثم قصة هود مع قومه، وصالح مع قومه، ولوط مع قومه، وشعيب مع قومه، مبينة عاقبة أولئك المكذبين من أهل القرى، مبينة كيف أهلكهم المولى عز وجل وكيف أنجى رُسِله والمؤمنون، وفي ختام ذلك يقول جل وعلا:

" وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ " (الأعراف/94)

وفي ذلك عبرة لأهل قريش وتنبيه لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام، من أن الله جل وعلا مهلك المكذبين، منجي رسله حال البأس.

ومن ثم تتوالى الآيات المبينة لما ينال القرى من بركات إن هم آمنوا وما حالهم إن كفروا، وفي نهاية ذلك الأمر يخاطب المولى عز وجل رسوله الكريم فيقول عز من قائل:

" تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ " (الأعراف/101)

ثم يختم جل وعلا تلك القصص بقصة ما كان من قوم فرعون حال دعوتهم من قبل نبي الله موسى عليه السلام هي، وما كان من بني إسرائيل والذين آتاهم الله جل وعلا

من الآيات ومن النِعم ما لم يأتيه لأحد من قبل ومع ذلك كانوا الأكثر عصيانا وجحودا لله والأكثر إنكارا لنعمه والأكثر تكذيبا لرسله وآياته، وهم من قال عنهم جل وعلا فيما بعد، قال تعالى:

" سَاء مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ " (الأعراف/177)

ومن ثم يعود المولى عز وجل بالخطاب لمحمد (عليه أفضل الصلاة والسلام) لتذكيره بأولئك الذين لا فكر لديهم وما هم إلا أهل قريش وإن شمل غيرهم، قال تعالى:
" أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ " (الأعراف/184)
ومخبرا إياهم من أنه لا يعلم الغيب إلا هو جل وعلا، ومحذرا إياهم من مغبة الشرك بالله، ومن أن الذين يتوجهون لهم بالدعاء حال الحاجة ليسوا إلا عبادا لله مثلهم مثلكم، قال تعالى:
" إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ " (الأعراف/194)
ومن ثم يخبر المولى عز وجل رسوله الكريم عن افتراءات أولئك الضالون، قال تعالى:
" وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُواْ لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يِوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَـذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ " (الأعراف/203)

وفي النهاية يعظ المولى عز وجل رسوله الكريم بالا يكون من الغافلين عن ذكر ربه، قال تعالى:
" وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ * إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ " (الأعراف/205-206)

الخلاصة:

من جميع ما سبق نخلص إلى أن الحروف المقطعة (المص) في هذه السورة تشير إلى وجود خطاب خاص ضمني للرسول المصطفى، يخبر فيه المولى عز وجل من أن ما أنزل عليه من كتاب إنما هو إنذار لأولئك الضالون وذكرى للمؤمنين، ومن ثم يبين الخطاب لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام بعض من مكر أولئك الضالون في محاربة ذلك الحق المنزل منه جل وعلا، ومن ثم يقص المولى عز وجل على رسوله الكريم ما كان من أخبار القرى السابقة وما كان من أمرهم، مبينا له من أنه جل وعلا لا يعجزه إهلاك من جحد بنعمه ولا من كذب بآياته ورسله، و من أنه منجي رسله وعباده المؤمنون الصالحون حال البأس.

من ذلك نستطيع القول من أن الأحرف المقطعة (المص) في هذه السورة لا تختلف في الإشارة ولا في الدلالة عما بيناه في السورة السابقة، أي أن حرفيّ الألف واللام (ال) من تلك الحروف المقطعة يشيرا إلى الناس بينما حرف الميم (م) يشير إلى محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، ومن أن حرف الصاد يشير بوجه العموم للصالحين كما مر بنا من قبل حينما تدارسنا سورة (ص)، وفي هذه السورة يشير حرف الصاد (ص) لبعض من أولئك الصالحين، وما أولئك إلا من ذُكِر من رُسلٍ في هذه السورة الكريمة.

و بهذا نكون قد أنهينا التوضيح للإشارة والدلالة للأحرف المقطعة (الم) و(المص)، وعليه فلننتقل لما تبقى من أحرف ألا وهي [حم ، طسم ، طس، يس، طه] ولنبدأ بالأحرف (حم).

الأحرف المقطعة (حم):

وردت هذه الأحرف في أوائل سبع سور من سور الذكر الحكيم، واحدة منها أعقبها في الآية الثانية الحروف المقطعة (عسق) وهي سورة الشورى، قال تعالى:

" حم * عسق * كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "

أما بقية السور فهي:

غافر / فصلت / الزخرف / الدخان / الجاثية / الأحقاف

وهذه السور السبع نزلت متتابعة كما أجمع الباحثين والمفسرين وفي ظروف جدا قاسية على رسول الله وعشيرته، فهي قد نزلت على رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام أثناء حصار أهل مكة له و لمن معه من أصحاب وأهل في شعب أبي طالب، ذلك الحصار الذي دام من سنتين إلى ثلاث كما جاء عن السلف الصالح، ومن هنا نستطيع وبكل سهوله من أن نستنبط ما يمكن أن يكون الغاية من تلك السور السبع، ففي مثل تلك الظروف يكون الإنسان في أمس الحاجة لمن يواسيه ويشد من أزره ويرفع من معنوياته ويعينه على الصبر في محنته، خصوصا وأنه عليه أفضل الصلاة والسلام يرى من أن هناك من شمله ذلك الحصار لا لجريرة إلا أنه يقرب له بصلة، أو لأنه صدقه وآمن بما أنزل عليه، وذلك ما كان من غاية لتلك السور فمن خلال التدبر لآياتها نستطيع وبكل سهولة من أن نرى تلك الغاية واضحة تتجلى بكل آية من آيات تلك السور فهي تبدأ بالتأكيد على أن ما أوحي إليه هو الحق، ومن أن ذلك الكتاب المنزّل منه جل وعلا نذير و بشير للناس كافة، ومن أن ما قيل له قيل لمن قبله من الرسل، وما حاق به من تهديد قد حاق بمن قبله من الرسل، قال تعالى:

" مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ " (فصلت/43)

" كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ " (غافر/5)

مطالبة إياه والمؤمنين بالصبر والثبات، قال تعالى:

" فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاء أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ " (غافر/77-78)

" فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ " (الأحقاف/35)

وهكذا تتوالى الآيات تشدّ من أزر الرسول الكريم ومن معه من المؤمنين في تلك المحنة، مخبرة إياهم بألا يلقوا بالا بما يتمتع به أولئك الضالون من مباهج الحياة وهم

يعانون من ذلك الحصار، فهم لا يعلمون ما ينتظر أولئك الضالون من عذاب، قال تعالى:
" مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ * وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ " (غافر/4-6)
وهم من وصفهم العليّ القدير في سورة الأعراف والفرقان بأنهم كالأنعام أو أضل، قال تعالى:
" وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ " (الأعراف/179)

" أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا " (الفرقان/44)
من جميع ذلك نستطيع القول من أن ما جاء في تلك السور لا يتعدى **حديث** طمأنينة ومواساة منه جل وعلا لرسوله الكريم و لمن معه من المؤمنين، حديث يحثهم على الصبر ومن أن النصر آت، وهو الأمر الذي نستطيع أن نستنبط منه أن حرف الحاء(ح) في هذه الحروف المقطعة يشير لذلك الحديث الصادر منه جل وعلا لرسوله الكريم، وهو ما يدل عليه حرف الميم (م) والذي يتسق مع ما استنبطا من إشارة لذلك الحرف في ما سبق، أي أن حرف الحاء يشير لكلمة (حديث) وحرف الميم يشير لمحمد عليه أفضل الصلاة و السلام، وعليه فإن حرفيّ (حم) يشيران إلى أن الخطاب الخاص الضمني في تلك السور هو حديث منه جل وعلا لرسوله الكريم، حديث عظة، وترفيه و مواساة ، حديث يتضمن دعوة للصبر ، حديث يؤكد له ولمن معه من إن نصر الله لهم قريب.

والآن وبعد الانتهاء من توضيح الإشارة والدلالة للأحرف (حم) نأتي لتوضيح الإشارة والدلالة للأحرف (عسق) الواردة بسورة الشورى، فنقول:

الأحرف (عسق):
أوضحنا فيما سبق من أن هذه السور البادئة بالأحرف (حم) لا تتعدى عن كونها حديث من الله جل و علا لرسوله الكريم و للمؤمنين بالثبات والصبر في محنتهم، ومن أنهم هم الفائزون يوم تأتي الساعة، وإن من خاسر إلا أولئك المكذبون بها، ومن هنا فإن المولى عز وجل يطمئن رسوله والمؤمنون من أن الساعة التي وضعها المولى للجزاء والثواب قد تكون أقرب مما يتوقعون، ومنها قال العليّ القدير لرسوله وللمؤمنين في الآية السابعة عشر من سورة الشورى والوارد بها تلك الأحرف (عسق) ، وذلك من بعد ما أمر المولى عز وجل رسوله الكريم بمواصلة الدعوى لله وعدم الالتفات لما يقوله أولئك الضالون، كما وأمره بأن يخبرهم من أنه جل وعلا جامعهم يوم تأتي الساعة، ذلك اليوم الذي سيجازى فيه أولئك الذين يحاجون في الله فيعذبون عذابا شديدا، ومن ثم يخبر المولى عز وجل رسوله الكريم قائلا له (.. وما يدريك لعل الساعة

قريب) تلك الساعة التي يستعجل بها الذين لا يؤمنون وذلك من حيث إنكارهم لها وللبعث بصورة عامة فهم في ضلال بعيد، أما الذين آمنوا فمشفقون منها لعلمهم من أنها الحق منه تبارك وتعالى وعليه فإني أرى أن [عل الساعة قريب] هو ما تشير له الأحرف (عسق)، قال تعالى:

" فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ * وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ * اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ * يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ " (الشورى/15-17)

والآن ومن بعد أن تعرفنا على الإشارة والدلالة للأحرف (حم) و(عسق)، نذهب للتعرف على الإشارة والدلالة لما تبقى من أحرف مقطعة ألا وهي الأحرف (طسم) و (طس).

الأحرف المقطعة (طس):

وردت هذه الأحرف في ثلاث سور من سور الذكر الحكيم اثنتان منها زيد عليهما حرف الميم (م) لتصبح (طسم) وهي السور التالية:
الشعراء (طسم) - النمل (طس) - القصص (طسم)
ولنبدأ بسورة الشعراء،

سورة الشعراء: الأحرف (طسم):

تبدأ تلك السورة الكريمة بالإخبار من أن آياتها من الكتاب المبين، ومن ثم يأتي خطاب المولى عز وجل لرسوله الكريم بألا يهلك نفسه هما وغما على أهل قريش الذين أبوا أن يؤمنوا، ومن ثم يخبره جل وعلا من أنه لو أراد لأنزل لهم آية من السماء فيخضعون لها، و لكن عنادهم وجحودهم جعلهم يعرضون عن ذلك الذكر الذي أنزل عليهم، فكذبوا به واستهزءوا منه ولكن سيأتي الوقت الذي سيعرفون فيه عظم تلك الآية المنزلة عليهم، ومن ثم يذكّر المولى عز وجل رسوله الكريم من أن الآيات (المبصرة) أمامهم كثيرة و لكن أكثرهم لا يريدون أن يؤمنوا، و من أنه عزيز رحيم، قال تعالى:
" طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ * وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون * أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ " (الشعراء/1-9)

من هنا نستطيع أن نرى وبكل سهولة من أن ما جاء في تلك الآيات من تلك السورة الكريم ليمس و بصورة مباشرة ذلك الهاجس الذي تكلمنا عنه، ألا وهو هاجس خوفه عليه أفضل الصلاة و السلام على أهله و عشيرته من ألا يؤمنوا وهو ما همّه وغمه،

ومن أنه لا يثنيهم عن ذلك [حسب ما يرى] إلا أن يأتيهم بآية مبصرة، وعليه نستطيع القول من أن ما جاء في تلك الآيات ليشكل ذلك الخطاب الضمني الخاص كما أوضحنا من قبل، والذي منه نستطيع القول من أن الأحرف المقطعة (طسم) إنما تشير لوجود مثل ذلك الخطاب، أما الدلالة لتلك الأحرف فهي الإشارة لقدرته جل وعلا على أن ينزّل من الآيات (المعجزات) ما شاء متى شاء، ومن هنا تأتي تلك السورة الكريمة على ذكر بعض من الأنبياء مبينة تكذيب أقوامهم لهم مع ما معهم من آيات مبصرة، ،وما آمن منهم إلا القليل.

فتبدأ بذكر سيدنا موسى عليه السلام وما كان من قومه وتكذيبهم له ولما معه من آيات مبصرة، ومن ثم التذكير بما كانت خاتمة كفرهم، قال تعالى:
" وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ " (الشعراء/66-68)

ومن ثم تأتي لنا الآيات على ذكر سيدنا إبراهيم عليه السلام و ما كان من تكذيب قومه له، كاشفا المولى عز وجل لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام ما ينتظر أولئك المكذبون من عذاب عظيم، والذي وعند وقوعه يتمنى أولئك المكذبون لو أن يكون لهم عودة للدنيا فيؤمنوا، قال تعالى:

" فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ " (الشعراء/102-103)

وهكذا تتوالى الآيات بذكر الأنبياء وما كان من أقوامهم فتأتي على ذكر سيدنا نوح وما كان من قومه، وما كانت عاقبة تكذيبهم له، قال تعالى:

" فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ " (الشعراء/119-122)

وهكذا بالنسبة لعاد وثمود، والذين أيضا كذبوا رسلهم فكان مصيرهم مصير من سبقهم، قال تعالى:
" فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ " (الشعراء/139-140)
" فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ " (الشعراء/158-159)

والأمر كذلك بالنسبة لقوم لوط وشعيب عليهما السلام، قال تعالى:
" إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ " (الشعراء/170-175)
" فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ " (الشعراء/189-191)

ومن ثم ومن قبل نهاية السورة يؤكد المولى عز وجل لرسوله المصطفى من أن ما أُنزل عليه هو من عند رب العالمين، نزل به الروح الأمين، ذاكرا له من أن أولئك المجرمون لن يؤمنوا به حتى يروا العذاب الأليم، قال تعالى:

" وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ * وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ * أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ * كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ " (الشعراء/192-202)

وفي النهاية يذكّر المولى عز وجل رسوله الكريم بالثبات على موقفه فلا يدعوا مع الله إلها آخر، ومن أنه قد حان الوقت لينذر عشيرته الأقربين ومن أن أولئك المكذبون لا يودون سماع إلا ما يتماشى وأهوائهم وهو حال الغاوون الذين يتبعون الشعراء وذلك لما في أقوالهم ما يطربهم ويتماشى وأهوائهم، قال تعالى:

" فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ * وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ * وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ " (الشعراء/213-227)

الخلاصة:

بناء على ما سبق نستطيع القول من أن ما جاء في هذه السورة الكريمة، إنما جاء كخطاب للرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وذلك:

- ليخفف المولى عز وجل عن رسوله الكريم تلك المعاناة التي سببت له الكثير من الضيق والهمّ والتي ذكرناها من قبل، إلا وهي إعراض قريش عن الاستجابة لما يدعوهم إليه، وليشد من أزره ويصبّره على ما يواجهه من عناد واستهزاء،
- لتذكيره عليه أفضل الصلاة والسلام بما كان من أمر من سبقه من الرسل، فمع كل ما أيدهم به جل وعلا من آيات مبصرة (مادية)، لم يؤمن من أقوامهم إلا القليل، وهو ما يتبين لنا من خلال تكرار المولى عز وجل من بعد الذكر لكل رسول من أولئك الرسل، قوله:

" إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ "

وذلك لما في ذلك من عظة وعبرة له عليه أفضل الصلاة والسلام حيال ذلك الهاجس.

ولو نظرنا إلى أول السورة لوجدنا أن هاتين الآيتين هما ما ختم بهما المولى عز وجل ما كان من قريش من تكذيب ومن إنكار لنعم الله عليهم، وهو ما يشير إلى عدم وجود اختلاف ما بين أهل قريش (قوم محمد) والأقوام السابقة.

وهكذا نرى من أن الهدف العام للسورة هو التخفيف من معاناته عليه أفضل الصلاة والسلام ومواساته في ذلك الهاجس الذي سبق وأن اشرنا له، وإعادة القول له من أنهم لن يؤمنوا ولو أتى لهم بآية مبصرة (مادية) وهو حال من سبقه، وأوضح مثال على ذلك هو ما كان من بني إسرائيل و الذين أتينا على ذكر ما كان منهم في السور السابقة ،و من هنا نستطيع القول من أن حرفيّ (طس) يشيران إلى تلك الآيات المبصرة (المادية) والتي أعطاها المولى عز وجل لرسوله الكريم موسى عليه السلام عند طور سينين والذي أقسم به جل وعلا كما جاء في سورة التين، قال تعالى:

" وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ " (التين/1-3)

وهو الجبل الذي كلم الله جل وعلا عنده رسوله موسى عليه السلام، قال تعالى:

" وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ " (القصص/46)

" وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا " (مريم/52)

وهو الجبل الذي واعد عنده المولى عز وجل نبيه موسى عليه السلام وبعض من قومه، قال تعالى:
" يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى " (طه/80)

وعليه نستطيع القول من أن ما جاء في تلك السورة الكريمة يمثل في مجمله رسالة خاصة ضمنية لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام تشير له من أن ما يقوله قومه وما يقسمون عليه من أنهم سيؤمنون لو أتاهم بآية مبصرة لا يتعدى الكذب، والله أعلم بهم وبما يدّعون، فلا داع لأن تبخع نفسك عليهم، أما حرف الميم (م) فيشير لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام كما أشرنا من قبل ودلالته واضحة في الآيات، ومنه فلنذهب للبحث عما تشير له الأحرف (طسم) في سورة القصص وما أن كانت النتيجة تؤكد ما ذهبنا له أم لا.

سورة القصص: الأحرف (طسم):
تبدأ هذه السورة كما السورة السابقة بالإخبار من أن آياتها من الكتاب المبين، ومن ثم يأتي خطاب المولى عز وجل لرسوله الكريم، قال تعالى:
" نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ "
مخبرا إياه بما كان من أمر موسى عليه السلام، وما كان من تكليمه جل وعلا له عند جبل الطور وتكليفه بالرسالة وما أعطاه من آيات بينات لينذر آل فرعون وقومه، مذكرا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام بالتكليف الذي عليه، قال تعالى:

" وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ " (القصص/46)

ومذكرا إياه من إن قومه لا يختلفون عن قوم موسى فمع كل الآيات المبصرة التي كانت مع موسى كُذِب من قبل قومه، قال تعالى:
" وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ " (القصص/47-48)

ومن ثم يكمل المولى عز وجل خطابه لرسوله الكريم مخبرا إياه من أنه لا يستطيع أن يهدي من أحبب ولكن هو جل وعلا يهدي من يشاء فهو أعلم بالمهتدين، قال تعالى:
" إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ " (القصص/56)

ومن ثم تسترسل الآيات في تبيان أحوال الظالمون مذكرا إياهم بنعمه عليهم، ولكن هيهات لهم أن يعقلون، ومنها يأتي المولى عز وجل بذكر قصة قارون وهو من قوم موسى عليه السلام وما آتاه من خير كثير، ولكنه أنكر وقال من أنه هو من جمع ذلك المال، قال تعالى:
" قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ " (القصص/78)

فكان جزاءه أن خسف الله جل وعلا به وبداره مخبرا إياه من أنه لن يجد له نصيرا من دون الله، قال تعالى:

" فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ المُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ " (القصص/ 81-82)

وما ذلك إلا تذكرة وعبرة للمكذبين من أهل لقريش من أنه لن ينفعهم ظلمهم.

ومن ثم يعود الخطاب لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام، قال تعالى:

" إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاء بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ * وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " (القصص/ 85-88)

الخلاصة:

بناء على ما سبق نستطيع القول من أن الهدف العام للسورة هو التخفيف من معاناته عليه أفضل الصلاة و السلام و مواساته في ذلك الهاجس الذي سبق و أن اشرنا له، و إعادة إخباره من أنهم لن يؤمنوا و لو أتى لهم بآية مبصرة (مادية) و هو حال من سبقه، و أوضح مثال على ذلك هو ما كان من بني إسرائيل و الذين أتينا على ذكر ما كان منهم في السور السابقة ،و من هنا نستطيع القول من أن حرفيّ (طس) يشيران

إلى تلك الآيات المبصرة (المادية) و التي أعطاها المولى عز و جل لرسوله الكريم موسى عليه السلام عند طور سينين كما أشرنا فيما سبق، أما حرف الميم (م) فيشير لمحمد عليه أفضل الصلاة و السلام كما أشرنا من قبل أيضا و دلالته واضحة في آيات تلك السورة.

****

والآن ومن بعد أن تعرفنا على الإشارة للحروف (طسم) نأتي للبحث في سبب حذف حرف الميم (م) من الحروف (طسم)، كما ورد في سورة (النمل)، وهو ما لا يتأتي إلا من خلال المعرفة للمضمون العام لتلك السورة.

[مذكرين مرة أخرى من أن استعراضنا لآيات تلك السورة وجميع ما سبق من سور لا يأتي من باب التفسير لتلك السور ولكن يأتي من باب محاولة المعرفة للخطاب الخاص الضمني و للاستدلال على ما يشير له كل حرف من تلك الأحرف المقطعة].

سورة النمل: الأحرف (طس):

نبدأ من الآية الأولى حيث يخبرنا المولى عز وجل من بعد حرفيّ البداية (طس) من أن آيات تلك السورة من القرءان والذي هو هدى وبشرى للمؤمنين، ومن ثم يتوجه الخطاب لأولئك الذين لا يؤمنون بالآخرة و ما لهم من سوء عذاب، قال تعالى:

" طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ "

ومن ثم يتوجه المولى عز وجل بالخطاب لرسوله الكريم مخبرا إياه من أن هذا القرءان منزّل من عنده، قال تعالى:

" وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ "

ومن بعد ذلك يبين المولى مصير الظالمين من الأقوام السابقة، ويبدأ جل وعلا بقوم موسى عليه السلام، فيذكر تلك الآيات المبصرة (المادية) والتي أيد بها المولى عز وجل رسوله موسى عليه السلام ولكنهم جحدوا بها وقالوا هذا سحر مبين، فعوقبوا على ذلك شر عقاب، قال تعالى:

" فَلَمَّا جَاءتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ " (النمل/13-14)

ومن ثم يثني بنبيه سليمان عليه السلام وما كان من أمره مع أولئك القوم الذين تحكمهم امرأة كانت هي وقومها يسجدون للشمس من دون الله، والتي في نهاية الأمر أسلمت مع سليمان لله رب العالمين وذلك من بعد ما اعترفت من أنها قد ظلمت نفسها بسجودها للشمس من دون الله،

ومن ثم يأتي المولى عز وجل على ذكر قوم ثمود ونبيه صالح وما كان من أمرهما، وذكر أولئك الرهط من قومه والذين بيتوا النية على قتله وأهله ومكروا ومكر الله فدمرهم وقومهم، قال تعالى:

وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ"

ومن ثم يذكر الله جل وعلا ما كان من قوم لوط الذين يأتون الفاحشة، ونهي نبيهم لهم عن ذلك الفعل فما كان منهم إلا أن قالوا، قال تعالى:

" فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ " (النمل/56)

فكان عقابه جل وعلا لهم على ذلك عبرة لغيرهم، قال تعالى:

" فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ " (النمل/57-58)

ومن بعد ما ذكر المولى القدير ما كان من تلك الأقوام أمر رسوله الكريم بأن يحمد الله صاحب النعم عليه وعلى الناس أجمعين، وبأن يذكر قومه بذلك ويدعوهم لتوحيده جل وعلا من قبل أن يأتيهم العذاب عند البعث والذي هم له منكرون، فما كان موقفهم من ذلك إلا الاستهزاء والسخرية والتكذيب لهذا الأمر، قال تعالى:

" وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ " (النمل/67-68)

وهنا يخبر المولى عز وجل رسوله الكريم بأن يقول لهم، قال تعالى:
" قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ " (النمل/69)

ومن ثم يتوجه جل وعلا بالخطاب لرسوله الكريم ملاطفا له:

" وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ " (النمل/70)

ويستمر التوجيه منه جل وعلا لرسوله الكريم، فإن قالوا متى هذا الوعد، فقل لهم، قال تعالى:
" قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ " (النمل/72)
ومن ثم يبين المولى بعض الصور ليوم الحشر، وهو اليوم الذي تكب فيه وجوه أولئك الناكرين لهذا الوعد في النار جزاء ما كسبوا.
ثم يتوجه الخطاب في آخر السورة لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام ليخبر قومه بأنه إنما أمر ليعبد الله وليكون من المسلمين، قال تعالى:

" إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ * وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ " (النمل/91-93)

الخلاصة:

من خلال ذلك الاستعراض السريع للمضمون العام لتلك السورة الكريمة، نرى أن هذه السورة تبدأ من بعد (طس) بالإخبار من أن آيات تلك السورة هي من آيات القرءان وهي كتاب مبين، ومن ثم تبدأ بخطاب للمؤمنين مخبرة إياهم من أن هذه الآيات هدى وبشرى لهم ومن ثم تعطف على الكافرين الذين لا يؤمنون بالآخرة مبينة لهم من أنهم في الآخرة هم الأخسرون، ولتذكيرهم بمصير من سبقهم من أقوام كذبوا رسلهم و استهزءوا بآيات الله المبصرة (المادية)، وعلى رأس أولئك قوم موسى مع كثرة ما كان معه من الآيات المبصرة حتى أنهم قالوا عن تلك الآيات إن هي إلا سحر مبين، وهو حال الأقوام الأخرى كقوم ثمود و قوم لوط، فجميعهم كذبوا بما آتاهم الله جل وعلا من آيات وسخروا من أنبيائهم فما كان مصيرهم إلا الهلاك في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة.

ومن هنا نستطيع القول من أن الخطاب الخاص الضمني لمحمد في تلك السورة الكريمة لا يتناول ذلك الهاجس الذي ضاق به صدره كما بينا من قبل إنما يتناول قضية الإيمان والكفر إن كان من أهل قريش أو من أهل الكتاب، ومن هنا كما أرى اقتصرت الأحرف المقطعة في تلك السورة على الأحرف (طس) والتي تشير لآيات الله المبصرة (المادية) والتي كذب بها أولئك الضالون، فكان الحذف لحرف الميم (م) والذي يشير لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام كما توصلنا من قبل، هذا ما أراه والله أعلم.

****

والآن و من بعد أن تعرفنا على الإشارة و الدلالة للأحرف (طسم) و (طس) والسبب في حذف حرف الميم في واحدة منها، نذهب للتعرف على الإشارة و الدلالة لما تبقى من أحرف مقطعة ألا و هي الأحرف (طه) و (يس) و لنبدأ بحرفيّ (طه) والوارد بسورة طه.

سورة طه: الأحرف (طه):

تبدأ هذه السورة الكريمة بمواساة المولى عز وجل لرسوله الكريم، ففي الآية الثانية كان الخطاب منه جل وعلا لرسوله الكريم مخبرا إياه من أنه لم يُنزِل القرءان عليه ليشقى، ولكن أنزله ليذكّر به من يخشى، ومن ثم يخبر المولى عز وجل رسوله الكريم من أنه يعلم ما يهمّه ويحزنه من إعراض قومه عن الإيمان بما أُنزل عليه من ربه عز وجل وإن أخفاه، قال تعالى:

" وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى "

من هذه البداية نستطيع أن نرى من أن المولى عز وجل يريد التخفيف عن رسوله الكريم من تلك المعاناة التي يعانيها نتيجة ذلك الهاجس الذي همّه وغمه والذي قد أتينا على ذكره أكثر من مرة ألا وهو حرصه عليه أفضل الصلاة والسلام على إنقاذ قومه من عذاب شديد، وما ذلك إلا من خلال توحيد المولى عز وجل والإيمان بما أنزل إليه، ولكن قومه وكما ذكرنا من قبل أنكروا ذلك وأصروا على العناد محتجين بأن يأتيهم بآية مبصرة (مادية)، وهو ما كان يؤرقه ويحزنه، ومن هنا كانت المواساة منه جل و

علا له بالا يبخع نفسه ألا يؤمنوا، مخبرا إياه من أنهم لن يؤمنوا ولو آتاهم بآية مبصرة (مادية) كما مر بنا من قبل ، فما ذلك إلا أدعاء كاذب منهم، و الله عليم بذلك، و من هنا و كما ذكرنا في أول هذه الفقرة كان قوله جل وعلا :

" طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى "

و من ثم يبدأ المولى عز وجل بإخباره بقصة موسى عليه السلام و ما عانى من قومه، وما كان من أمره حال ولادته و كيف أنجاه الله جل وعلا من بطش فرعون وأعوانه وهو رضيع لا حول له ولا قوة، و الأمر كذلك حال ما أمره بالذهاب لدعوة فرعون وأعوانه إذ أيده بالكثير من الآيات المبصرة ومع ذلك ما آمن معه إلا القليل، وكيف أنجاه المولى عز وجل مرة أخرى من بطش فرعون وجنوده، وما ذلك إلا لمواساة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام كما ذكرنا في البداية، وللتأسي بواحد من الرسل أولى العزم، وليتيقن من أن الله لا يخذل رسله ومن أنه على نصرهم لقدير، مخبرا إياه من إنه جل وعلا يقص عليه من أنباء السابقين لتكون له عظة وعبرة، ومن أنه آتاه من لدنه ذكرى (القرءان الكريم)، قال تعالى:

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا " (طه/99)

آمرا إياه بالا يعجل بذكر ذلك الذكر (القرءان) إلا من بعد أن يقضى إليه وحيُهُ، قال تعالى:

وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا " (طه/113-114)

مذكرا إياه بما كان من آدم عليه السلام ليأخذ من ذلك العبرة والعظة، فقد أوحى رب العزة لآدم عليه السلام بعهد ولكنه نسى و لم يكن ذا عزم على ذلك العهد، ولكن الله من بعد ذلك اجتباه و تاب عليه و هداه، فهو الرحمن الرحيم، و في ذلك من العبرة و العظة الشيء الكثير له عليه أفضل الصلاة و السلام.

ومن ثم يعود المولى عز وجل لمخاطبة رسوله الكريم عن مدى عناد قومه وعن جحودهم لنعم الله، داعيا إياه للصبر على ما يقولون، قال تعالى:

" أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى * وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى * فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى " (طه/128-130)

وأخيرا يذكّر المولى عز وجل رسوله بكذب أقوال أولئك الضالون و على وجه الخصوص قولهم من أنهم ليؤمنوا لو أتاهم بآية مبصرة (مادية)، و هو قول يدحضه ما جاء في الصحف الأولى، ففي تلك الصحف كانت البينة، قال تعالى:

" وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى * وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى

* قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى " (طه/133-135)

الخلاصة:

من ذلك المفهوم العام لتلك السورة الكريمة نجد أنها لا تختلف عن كثير من السور السابقة التي تناولناها في هذا البحث والتي يتناول فيها العلي القدير مواساة رسوله الكريم حيال ذلك الهاجس الذي يشغل فكره، مبينا له من أنه القادر على كل شيء والعليم بكل شيء ومن أنه جل وعلا لا يخذل من أصطفى من عبادة ومن أنه على نصرهم لقدير، وعليه نستطيع القول من أن الأحرف المقطعة الواردة في هذه السورة إنما تشير لذلك المفهوم، وهو ما يمثل الخطاب الخاص الضمني للرسول عليه أفضل الصلاة و السلام، و أما الدلالة فهي أن الآيات المبصرة عنده جل و علا هينة لا يعجزه الإتيان بها وقت أن يشاء على من يشاء من عباده، و ما إيراد قصة موسى عليه السلام في هذه السورة إلا من ذلك الباب، و هو ما رأينا له مثيلا في كثير من السور السابق بحثها، و منها فإنني أرى من أن الحرف (ط) يشير لواحدة من تلك الآيات المبصرة التي أراها المولى عز و جل لبني إسرائيل، و ما تلك إلا رفع الطور فوقهم، قال تعالى:

" وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " (البقرة/63)

" وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا " (النساء/154)

وما الطور إلا ذلك الجبل الذي كلّم المولى عز وجل عنده نبيه موسى عليه السلام، قال تعالى:

" وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا " (مريم/52)

وهو ذات الجبل الذي واعد المولى عز وجل عنده بني إسرائيل من بعد ما أنجاهم من عدوهم، قال تعالى:

" يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى " (طه/80)

أما الحرف الثاني من تلك الأحرف المقطعة ألا وهو حرف الهاء فيشير والله أعلم إلى ما أشرنا له سابقا في سورة مريم من أن ذلك الأمر هين عنده جل وعلا.

هذا ما أراه من دلالة لهذين الحرفين والله أعلم، ومن بعده ننتقل للبحث عن الإشارة والدلالة لآخر تلك الحروف المقطعة ألا وهو الأحرف (يس) والواردة في سورة [يس].

سورة يس: الأحرف المقطعة (يس):

وردت هذه الأحرف في سورة (يس)، قال تعالى:

" يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ "

ومن قبل أن نذكر بعض الملاحظات على تلك الأحرف لنذهب لاستعراض ما جاء في هذه السورة الكريمة، فنقول:
بدأت تلك السورة من بعد ورد تلك الأحرف المقطعة في الآية الأولى بعطف القرءان الكريم على تلك الأحرف وإن كان كل منها في آية مستقلة، ومن ثم يبدأ الخطاب الإلهي لنبيه الكريم مؤكدا له من أنه من المرسلين ومن أنه على صراط مستقيم ومن أن هذا القرءان منزّل منه جل وعلا، ومن أنه قد أرسله لينذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم في غفلة فحق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون، قال تعالى:

"لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ "

ومن ثم، وكما أرى يصف المولى عز وجل حال أولئك الذين حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون، بقوله:

" إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ "

ومن بعد ذلك يخبر المولى عز وجل رسوله الكريم من أن هؤلاء لن يؤمنوا مهما أنذرتهم فقد تمكن الكفر منهم وناصبوا الدين العداء، قال تعالى:

" وَسَوَاء عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ *نَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ " (يونس/10-11)

وهو ما بينه لنا المولى عز وجل في الكثير من الآيات، فهم من أنكروا نبوة محمد، وهم من أنكروا أن يكون ذلك الكتاب منزّل منه جل وعلا بل قالوا عنه أساطير الأولون يملى عليه و غير ذلك الكثير كما مر بنا، والأهم أنهم أنكروا البعث، وعليه فقد أنكروا الثواب و العقاب من أساسه و من هنا كان الإنذار لا مكان له بالنسبة لهم.
ومن ثم أمر المولى عز وجل رسوله الكريم بأن يضرب لهم مثلا بما كان من مصير أصحاب القرية الذين كذبوا رسلهم وقالوا لهم ما أنتم إلا بشرا مثلنا، وهو ذات قول قومه عليه الصلاة والسلام، قال تعالى:

" وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ " (يس/139)
وما كان من أمرهم حال ما كذبوا المرسلين، قال تعالى:
" إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ * يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون " (يس/29-30)
فأولئك كان مصيرهم الهلاك كما بين الحق جل وعلا، ومنه فعلى قومك يا محمد أن يتعظوا مما حل بمن قبلهم من الأقوام نتيجة تكذيبهم للمرسلين، قال تعالى:

" أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنْ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ " (يونس/31)

ومن ثم يذكّر المولى عز وجل أولئك الكافرين وكل الناس بنعمه عليهم، وما ذلك إلا رحمة منه جل وعلا، ولكنهم ومع كل ذلك يعرضون عن أية آية من آيات ربهم، قال تعالى:

" وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ " (يونس/46)

ومن بعد ذلك يأتي المولى عز وجل على ذكر ما كذبوا به ألا وهو يوم الحساب، مبينا حال أهل الجنة حينذاك وحال أهل النار، مذكرا أولئك المكذبون من أن وعده هو الحق، قال تعالى:
" هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * وَلَوْ نَشَاء لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ * وَلَوْ نَشَاء لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ " (63-67)

ولكنهم كذبوا بنعم الله عليهم وجحدوا بآيته، وبدلا من الشكر له جل وعلا اتخذوا من دونه آلهة تنصرهم، قال تعالى:

" وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ * لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ " (يونس/74-75)
وهو ما فيه مواساة لمحمد له أفضل الصلاة والسلام، ومنها كان قوله جل وعلا لرسوله الكريم:
" فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ " (يس/76)

ومن ثم يختم المولى عز وجل ذلك الخطاب بتبيان جهل الإنسان بقدرة الله جل وعلا، مذكرا ذلك الإنسان بأنه جل وعلا بيده ملكوت كل شيء ومن أنه، أي الإنسان في النهاية راجع للذي خلقه، قال تعالى:
" أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " (77-83)

الخلاصة:
من ذلك الاستعراض لما جاء في تلك السورة الكريمة نستطيع أن نرى من أنه لم يرد فيها ذكر لأي نبي أو رسول، ولا لِما أوتوا من آيات مبصرة، ولا لِما كان من أقوامهم حيال ذلك، ولكن الأمر فيها أخذ منحى العموم، أي حال عموم الناس من البعث ومن الرُسل ومن الحق المنزّل عليهم من ربهم، ومن ثم إسقاط ذلك على قوم محمد عليه أفضل الصلاة، للدلالة على عدم اختلافهم عن عموم الناس، وفي ذلك مواساة له وتخفيفا لما يهمّه ويحزنه، وهي الرسالة الخاصة الضمنية التي تشير لوجودها تلك الأحرف المقطعة (يس) الواردة في أول السورة، وهو ما تبينه بعض من الآيات الواردة بتلك السورة بصورة مباشرة:

" يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون " (يس/29-30)

" وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ " (يونس/46)

" فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ " (يس/76)

أما بالنسبة لما تحمله تلك الأحرف من أشارة فهو ما لم أجد ما يدل عليه بصورة مباشرة، ومنه فسأحاول استنباط ما تشير له تلك الأحرف من خلال السياق العام لتلك السورة الكريمة ومن خلال بعض من الملاحظات لما ورد في ذلك السياق، وفيما يلي تلك الملاحظات:

1- اللفظ الصوتي للحرفين المكونين لتلك الأحرف المقطعة (يس) أي [يا سين] هو اللفظ الصوتي الوحيد من تلك الأحرف الذي ورد في آيات الذكر الحكيم كلمة تقابله، أي تتطابق معه، فقد ورد ذات اللفظ الصوتي لهذين الحرفين في سورة الصافات، قال تعالى:

" سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ " (الصافات/130)

وهذا الرسم الخاص لكلمة (إِلْ يَاسِينَ) حيث تم فصل الألف واللام عن كلمة ياسين، قد يكون فيه ما يؤيد ما ذهبنا إليه، والله أعلم.

وهو فصل له مثيل في بعض من آيات الذكر الحكيم، ولكلٍ سببه، قال تعالى:

" وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا " (الفرقان/7)

2 - ياسين مثنى ياس، وهو ما قال به أيضا البعض من المفسرين، وهو ما يدعونا للتفكر في سبب ذلك، أي لماذا أورد المولى عز وجل المثنى من ياس " .. إِلْ يَاسِينَ " ولم يرد ذلك مع من ذكرهم المولى من رسل في ذات السياق في ذات السورة (الصافات)، قال تعالى:

" سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ "
" سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ "
" سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ "

وختم ذلك بقوله جل وعلا:

" وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ "

من خلا التدبر لسورة (يس) ولسورة (الصافات) نجد أن هناك وحدة في المضمون، فكل من السورتين تبحث في حال المكذبين للرسل و لآيات الله و لنعمه و للبعث ولما ينتظر أولئك المكذبين من عذاب في الدنيا أو في الآخرة، ولكن الفرق يكمن في أن سورة (يس) تأتي على بحث تلك الأمور من باب العموم، فلا تسمي قوما ولا تسمي رسولا ولا تشير تفصيلا لمصير هؤلاء في الدنيا أو في الآخرة إلا من باب العموم كما ذكرنا، بينما نجد العكس من ذلك في سورة الصافات فهي تسمي الأقوام و تسمي الرسل و تشير لكيفية هلاكهم في الدنيا وتفصل لما ينتظرهم من عذاب في الآخرة ، وتفصل في البعث و غير ذلك من أمور جاء ذكرها من باب العموم في سورة (يس). وفيما يلي مثال على ما ذهبنا إليه، فذكر المرسلين لم يرد في سورة (يس) إلا مرتين الأولى قوله تعالى لرسوله الكريم:

" إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ " (يس/3)
والثانية كانت من ذلك الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، حيث نصح القوم بأن يتبعوا المرسلين، قال تعالى:
" وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ " (يس/20)

في حين نجد أن ذكر المرسلين جاء في سورة الصافات ست مرات، ثلاث منها جاءت مع ذكر اسم الرسول، وفيما يلي ما جاء في سورة الصافات، قال تعالى:

" بَلْ جَاء بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ " (الصافات/37)

" وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ" (الصافات/ 123)

" وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ" (الصافات/ 133)

" وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ" (الصافات/ 139)

" وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ" (الصافات/171)
" وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ" (الصافات/ 181)

وعليه، ومن وحدة المضمون والموضوع ما بين سورة (يس) و (الصافات) نستطيع القول من أن الأحرف المقطعة الواردة في أول سورة (يس) إنما تشير إلى أمرين، الأول منها هو الإشارة إلى أن هناك تفصيلا لما جاء فيها من رسالة خاصة ضمنية للرسول عليه أفضل الصلاة والسلام في السورة التي ورد فيها الكلمة المقابلة للفظ الصوتي لحرفي الياء والسين (ياسين) كما ذكرنا من قبل ألا وهي سورة الصافات، أي أن تلك الأحرف المقطعة (يس) تربط ما بين السورتين، وذلك بالإضافة لوحدة المضمون كما بينا،
ملاحظة: [الهمزة تحذف حال الربط ما بين حرفين كقولنا (طا ها) للأحرف (طه)، أو (حا ميم) للأحرف (حم) ولا نقول طاء أو حاء أو هاء]

أما الأمر الثاني فهو ورود سلام الله جل وعلا لعبده إلياس بصيغة المثنى كما ذكرنا " سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ " وذلك خلافا لما كان مع غيره من عباده الذين اصطفى والذين جاء ذكرهم بالمفرد، قال تعالى:
" سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ "
" سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ "
" سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ "

صيغة المثنى تلك أرى فيها إشارة لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فهو معني بالسلام منه جل وعلا مع إلياس والله أعلم، وما ذلك فيما أرى إلا من حيث أن هناك باب من أبوب التوافق ما بين هذين الرسولين الكريمين، وقد تكون الحكمة، فقوله تعالى في أول سورة (يس):
" يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ "
ليعيدنا إلى تذكّر قوله تعالى في سورة (ق):

" ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ "

وفي سورة (ص):

" ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ "

ففي هاتين السورتين وجدنا أن هناك ترابط وثيق ما بين الحرف الوارد في أول الآية والصفة الملحقة بالقرءان، ففي الآية الأولى قلنا من أن المجيد تشير للثبات والديمومة فهي صفة للقرءان فهو دائم لا يتغير شاء من شاء وأبى من أبى وفي ذلك إشارة لقريش حيث كانت تسعى لتبديله أو تغير ما جاء فيه،

أما بالنسبة للآية الثانية فنجد أيضا أن الصفة الملحقة بالقرءان في هذه الآية (ذي الذكر) ترتبط بعلاقة وثيقة بالحرف الأول الوارد بتلك الآية، ففي هذه السورة رأينا حال الاستعراض لآياتها من أنها تأتي على ذكر الكثير من الصالحين من عباد الله الذين أصطفى وهو ما يشير له حرف الصاد كما بينا من قبل.

وعليه نستطيع القول من أن الصفة الملحقة بالقرءان في الآية محل البحث: " يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ " لا بد و أن ترتبط بالأحرف الواردة في الآية السابقة لها و من هنا كان قولنا من أن تلك الأحرف (يس) مرتبطة بالحكمة، و هو ما يمكن أن يكون الرابط ما بين هذين الرسولين الكريمين عليهما أفضل الصلاة و السلام، و الله أعلم، خصوصا و أن ما جاء على لسان إلياس عليه السلام في سورة الصافات مخاطبا قومه ليدل على حكمة بالغة و الله أعلم، قال تعالى:

" إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ * اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ " (الصافات/ 123-127)

كما أود أن أشير هنا إلى أنه في سورة الصافات حيثما أورد المولى عز وجل ذكر بعض من الرسل ذكر ما كان من إهلاكه لمن كفر من قومهم عدا ما كان مع قوم إلياس حيث لم يذكر المولى عز وجل لهم هلاكا لهم في الدنيا إنما جل ما ذكر عن أولئك القوم هو قوله " .... فإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ "، قال تعالى:

" فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ " (الصافات/127-128)

بينما كان مصير أقوام الرسل الآخرين الهلاك كما ذكرنا، وقد جاء ذكر ذلك في ذات السورة (الصافات) فقال عز من قائل:

" سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ " (79-82)

" وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ " (114-115)

" وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ "

عدا قوم إبراهيم عليه السلام فقد جعلهم المولى عز وجل الأسفلين حال ما أرادوا الكيد بإبراهيم عليه السلام، قال تعالى:

" قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ " (97-98)
ومنه فإني أرى من أن هناك نوعا من التشابه ما بين مصير قوم إلياس ومصير قوم محمد عليهما الصلاة والسلام، فهما من الأقوام القليلة التي لم يذكر المولى عز وجل بحقهما الهلاك كما هو مع معظم الأقوام الأخرى، وهو الأمر الذي يعزز ذلك الربط الذي أشرنا له ما بين هذين الرسولين الكريمين عليهما الصلاة والسلام، هذا ما أرى والله أعلم.

وختاما، ومن بعد أن استنبطنا السبب لورود تلك الأحرف المقطعة والإشارة أو الدلالة لها لا يتبقى معنا إلا استنباط العلة في إيراد البعض منها كآية مستقلة والبعض الآخر كجزء من آية.

استنباط العلة في ورود بعض من تلك الحروف كآية والبعض كجزء من آية:

من خلال ما أوضحنا من سبب لورود الأحرف المقطعة ومن خلال ما توصلنا له من دلالة لها نستطيع أن نلاحظ التالي:

أولا:

ترد تلك الأحرف كآية مستقلة متى ما كان الخطاب الضمني خطاب مباشر لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وهو ما نراه في تلك الأحرف المتضمنة لحرف الميم(م) كالأحرف (الم) و(حم) و (طسم) و (المص)، وهنا مباشرة يتبادر إلى الذهن السؤال عن الأحرف (المر): لِم لم تأتي كآية كما هو الحال مع الأحرف (المص)؟ فنقول:
الأحرف (المص) كما أوضحنا تشير إلى الناس (ال) و محمد النبي الرسول(م) والصالحين الصادقين (ص) كما مر بنا، و الذي منه نستطيع أن نرى من أن الأعلى هنا هو النبي الرسول عليه أفضل الصلاة و السلام، وعليه كان و لا بد من أن تنتمي تلك الأحرف لمجموعة الميم ، فترد كآية لا كجزء من آية، بينما الأحرف (المر) تشير للناس (ال) ولمحمد عليه الصلاة والسلام (م) وللرسل عليهم السلام (ر)، ومن حيث أن محمد رسول من أولئك الرسل، فوجب أن تنتمي تلك الأحرف لمجموعة الرسل، أي مجموعة الأحرف (الر)، فترد كجزء من آية لا آية كما هو الحال مع تلك المجموعة، قال تعالى:

" قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ " (الأحقاف/9)
هذا فيما أرى والله أعلم.

ثانيا:

ترد تلك الأحرف كآية مستقلة متى ما كانت تحمل إشارة لآيات الله المبصرة (المادية) إضافة إلى أن الخطاب الضمني يتناول خطابا لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام حول ذلك الهاجس الذي أوضحنا، وذلك كالسور التالية: الشعراء (طسم)، القصص (طسم)، مريم (كهيعص)، طه (طه).
أما بالنسبة لسورة النمل والتي يرد فيها الأحرف (طس) وهي من الأحرف التي بينا من أنها تشير لآية من آيات الله المبصرة و مع ذلك فإنها وردت كجزء من آية وليس

آية، فما ذلك فيما أرى إلا من حيث أن الخطاب الضمني فيها وإن كان لمحمد عليه الصلاة والسلام ألا أنه خطاب يشير لبعض من التوجيهات الإلهية له عليه الصلاة والسلام والتي تختص بقومه أكثر مما هو خطاب يشير لذلك الهاجس الذي يعاني منه والذي اشرنا له من قبل، وهو ما يتضح في ما جاء في الآيات الأولى من تلك السورة الكريمة وذلك من حيث أن الخطاب فيها موجه لهم، مؤمنين وغير مؤمنين، قال تعالى:

" طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ "

ومن بعد ذلك يأتي ذكر بعض من الرسل والأنبياء وما كان من قومهم، مبينا جل وعلا ما حل بأولئك الأقوام من عذاب في الدنيا وما ينتظرهم من عذاب أشد في الآخرة جزاءا بما ظلموا، وفي ذلك عبرة لقوم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، طالبا منه أن يذكّرهم بنعم الله جل وعلا عليهم، وبما ينتظرهم من نعيم وما ينتظر الظالمون من عذاب شديد، ومن ثم يخاطب محمدا عليه الصلاة والسلام من أن لا يحزن على الكافرون الظالمون، قال تعالى:

" وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ " (النمل/70)

وفي الآيات الأخيرة من تلك السورة يأمر المولى عز وجل رسوله الكريم من أن يذكّر قومه بما أمره ربه عز وجل وأن يكرر الحمد لله ومن أنه جل وعلا سوف يريهم آياته ومن أنه جل وعلا لن يغفل عما يفعل أيا منهم، قال تعالى:

" إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ * وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ "

من هذا الملخص السريع و الموجز لما جاء في تلك السورة الكريمة نستطيع أن نرى من أن مجمل ما جاء فيها هو من باب النصح لقوم محمد عليه الصلاة و السلام كما ذكرنا و دعوة للرسول الكريم بالصبر على أولئك الكافرون، و عدم الاكتراث بما يقولون، و منه كان قولنا من أن الخطاب الضمني في تلك السورة هو خطاب يشير لبعض من التوجيهات الإلهية للرسول عليه الصلاة و السلام و التي تختص بقومه أكثر مما هو خطاب يشير لذلك الهاجس الذي يعاني منه و الذي اشرنا له من قبل، و هو فيما أرى العلة التي بسببها وردت تلك الأحرف (طس) كجزء من آية لا كآية و الله أعلم. أما بالنسبة للأحرف (يس) والواردة كآية في سورة (يس) فإني أرى من أن ذلك يعود إلى أن تلك الأحرف (يس) تشير لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام كما أوضحنا، وإلى أن الخطاب الضمني الوارد في تلك السورة الكريمة يشير لذلك الهاجس الذي أثقل صدره عليه أفضل الصلاة والسلام كما بينا، و الله أعلم.

ولا يتبقى معنا بعد ذلك غير الأحرف (عسق) والواردة كآية وذلك في سورة الشورى، قال تعالى:

" حم * عسق * كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " (الشورى/1-3)

وهي تشير إلى أن الساعة أمر قريب كما أوضحنا من قبل، وهو نبأ عظيم منه جل وعلا المولى للناس كافة، ولمحمد ولقومه بوجه الخصوص حال الأخذ بسياق الآيات في تلك السورة فقط، ومن كون أنه نبأ من المولى عز وجل ومن كون أنه نبأ عظيم كان ولابد من أن يكون آية مستقلة، هذا فيما أرى والله أعلم.

وفي النهاية لا يسعني إلا القول من أن هذه رؤيتي للعلة في ورود تلك الأحرف المقطعة ولما تحمله من إشارة ودلالة، وهو اجتهاد مني فإن أصبت فيه أو في بعض منه فذلك منة منه جل وعلا وإن جانبني الصواب فأسأله تبارك وتعالى المغفرة والرحمة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم

م. عبدالوهاب الحزامي

الكويت- ابريل 2021